علاقة نيجيريا باللغة العربية والإنكليزية

إن لنيجيريا باللغتين العربية والإنكليزية علاقة لا يُستهان بها، وصلة لا يستمال عنها. وهي علاقة وطيدة مرموقة مرَّت عليها قرون، أو قُلْ: مرَّ عليها قرن ونصف قرن بالنسبة للغة الإنكليزية في البلاد.

وما يسمى بنيجيريا اليوم بقعة كانت يعمرها أناس قبل ولادة المسيحية والإسلام الذي جاء به النبي محمد ﷺ ۞، ذانك الدينان اللذان بمثابة المذياع للغتين العربية والإنكليزية في ديارنا نيجيريا.

ولِما كان للإسلام من حضارة، وما كان لكلٍّ من الطرفين من قوّة، أتت اللغتان نيجيريا من غير استئذان، فشطرتا ألْسُنَ أهلها. وقد لاَنَتْ للغتين ألْسِنَةُ شعوب نيجيريا، لما أتيتا إليهم بها من حروف الثقافة والحضارة لسانيًّا وقلميًّا.

وفيما يلي من هذا الفصل، نعرف بمشيئة الحقّ تعالى - مدى تعلُّق نيجيريا بهاتين اللغتين، ومتى دخولهما فيها، وماذا استفادته منهما اللغات النيجيرية المحلية، وخاصة من العربية قبل الإنكليزية. وإليك جوهر البحث بدءًا بالتعريف بنيجيريا الذي هو فاتحة البحث.

۞ كان المؤرخون يقرون بوجود السكان في هذه المنطقة من تاريخ لا يقل عن ألفين سنة، ومما يؤيد على ذلك ما قاله السيد إبراهيم جامع أوْثويَوْ في كتابه: "دروس أساسية في جغرافية نيجيريا" {الطبعة الثانية} الرياض ١٩٨٨م ص ١٢، قال: "تدل بعض الحفريات التي تم العثور عليها في إيْفيْ Ilefę " في الإقليم الغربي وفي مناطق قريبة من مدينة جَوْس، وكذلك في جنوب زَاريَا على أن نيجيريا تعود إلى ألفين سنة، وذلك قبل ميلاد المسيح عليه السلام.

▪ معلومات تاريخية عن نيجيريا

نيجيريا: اسم مركّب تركيبًا مزجيًّا مثل {بعلبكَّ} في لُبنان. وهو مركّب من كلمتين: {نَيْجَرْ Niger - وأيْريَا Area} ومعناه بعد التركيب المزجيّ {ما حول نيجر}.

وأما النيجر فهو كلمة محرّفة من نَيْغِرَوْ {Negro} – وهي كلمة لاتينيّة تعني الزنجي الأسود. والنيجر: اسم يُسمى به الدولة التي تحدُّ نيجيريا شمالاً، كما يسمى به نهر النيجر، ثاني الأنهار الإفريقية الأربعة المشهورة وهي: النّيل، والنيجر، والكنغو، والسنغال. وأول الأنهار النيجيرية السبعة المشهورة وهي: النيجر، والبَيْنُوَيْ، وأدَيْجَا، والسَّوْكَوْتَوْ، وكَادُونَا، وأوْشُنْ، وأوْغُنْ. وتطرق نهر النيجر داخل نيجيريا من الشمال الغربي، وكان منبعه من أعالي فُوْتَا جَالُون. ثم شقّ مجراه شرقًا إلى نواحي الصحراء الكبرى مارًّا ببلاد تُمْبُكْتُو، ثم ينحدر جنوبًا إلى ثُغر لَوْكَوْجَا حيث يلتقي به نهر البَيْنُوَيْ الآتي من بلاد أدَمَاوَى، النابع من سفح جبال كَامَيْرُون، فيتّحد الاثنان ويصبّان في المحيط الأطلسي بنواحي خليج بِنِينْ. وقد أطلق العرب على نهر غرب إفريقيا نيل السودان، كما أطلقوا على سكانه اسم الزنج أو النوبة أو السودان۞.

۞ آدم عبد الله الألوري: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، الطبعة الثالثة {١٣٩٨ه/١٩٧٨م} ص ١٣ بتقديم وتأخير. ٥٧٦.

وقد أخذت دولة النيجر اسم النهر برمته، كما أن نيجيريا أضافت على اسم النهر مقطعًا ۞.

وأما موقع نيجيريا الجغرافي، فتحدّها شمالاً منطقة النيجر، وجنوبًا المحيط الأطلسي، وشرقا بلاد كامرون، وغربًا دولة بنين {الداهومي}. وهي بعبارة أخرى، آخر أقطار إفريقيا الغربية شرقا، ومبدأ أقطار إفريقيا الوسطى غربًا، وتقع حدودها الشمالية في قلب القارة الإفريقية تقريبًا ۞۞.

وقد اقتضى التقسيم الجغرافي الداخلي على نيجيريا بواسطة نهر النيجر والبينوي، فقسّماها ثلاث مناطق. المنطقة الشمالية، ترأسها قبائل هوسا وفيها غير هوسا، وأكثرهم مسلمون. والمنطقة الشرقية، وأشهرهم قبائل إيَبْو وفيهم غير إيبو، وأكثرهم بين المسيحية والوثنية وفيهم مسلمون. والمنطقة الغربية، وفيها قبائل يوربا، والثلثان منهم مسلمون، والثلث الباقي بين المسيحيين والوثنيين.

وقد كان أقدم ديانات نيجيريا كلّها الوثنية كسائر الدول العالمية، ثم دخل فيها الإسلام بنوره فصارع الوثنية. ثم سَرَتْ إليها المسيحية أخيرًا وهي الأخرى تحاول الصراع مع الإسلام فكسر الإسلام عظامها.

۞ أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الجزء السادس، الطبعة الرابعة {القاهرة ١٩٧٩م} ص ٥٧٦.

۞۞ عليّ أبو بكر: الثقافة العربية في نيجيريا، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٢م، ص١٤

لم تُعرف هذه المناطق باسمها قبل عام ١٩١٤م، وهو العام الذي أطلق عليها "لاَرْدُ لُوغَرْدْ" اسم نيجيريا بعد تمام الإدماج الاستعماري للبلاد، فوقعت تحت محمية واحدة تحت إمارة الاستعمار البريطاني. ثم استقلّت عام ١٩٦٠م، وبدأت تتمتع بالحكومة الجمهورية الفدرالية منذ سنة ١٩٦٣م.

وتبلغ مساحة نيجيريا (٣٥٦,٦٦٩) ميلاً مربعًا، ومن الشمال إلى الجنوب (٦٦٥) ميلاً. ومن الشرق إلى الغرب (٨٢٥) ميلاً. وكان عدد سكانها في إحصاء عام ١٩٦٣م (٥٥,٦٧٠,٠٤٦). وقُدّرت سكان عام ١٩٧١م بـ (٦٧,٤٦٧,٠٠٠)، ثم قدرت سكان عام ١٩٧٦م بـ (٧٦,٣٣٣,٠٠٠) ۞، كما قدرت أيضًا عام ١٩٨٤م بـ(٩٢,٠٦١,٠٠٠) ۞۞.

وأما الإحصاء الحالي الجاري عام ١٩٩١م، فعدد سكان نيجيريا كان (٨٨,٥١٤,٥٠١) إلا أن سكان بعض الجهات لم يرضوا بهذا العدد، فكالوا بهذا الإحصاء بكيل الجزاف۞۞۞.

كانت نيجيريا هي أبطح دول غرب إفريقيا على حدّة، كما أنها هي أكثرها سكانًا، وتتّصف فيها مدينة إبادن بأكبر مدن غرب إفريقيا إطلاقا.

۞ قاموس كليات المعارف العالمية: الجزء السادس، طبعة الولايات المتحدة {١٩٧٠م} ص ٣٢٦.

۞۞ المكروبيدية البريطانية: المجلد الثامن {طبعة ١٩٨٦م} ص ٧٠٣.

۞۞۞ ويقر الشيخ مصطفى زغلول السنوسي في كتابه: "روائع المعلومات عن أقطار أفريقيا وبعض ما نبغت فيها من المملكات". في قائمة تبين اسم، وعاصمة، ومساحة، وسكان كل قارة في أفريقيا، ص ٢٦٦ بأن عدد سكان نيجيريا في ١٩٩٠م الذي كان نشر الكتاب {٣٠٠،٧٠٩،١٢٠}. فكانت نيجيريا إذًا أكثر دولة القارة سكانًا، ثم مصر، ثم أثيوبيا، ثم جنوب أفريقيا، ثم المغرب.

وولايات نيجيريا قبل وبعد الإدماج من عام الاستقلال إلى عام ١٩٦٦م لا تتجاوز ثلاث ولايات أو أقاليم على التقسيم النهري الطبيعي: الإقليم الشمالي، والإقليم الشرقي، والإقليم الغربي. ثم نالت حظ التقسيم الجديد سنة ١٩٩١م إلى ثلاثين ولاية، تتوسّطها العاصمة الجديدة أبُوجَا .{Abuja}

وأشهر مدن نيجيريا شمالاً هي: كَنُوْ، ومَيْدُغُوري، وسَوْكَوْتَوْ، وكَادُونَا، وكَتْشِنَا، وجَوْسْ، وزَارِيَا، ومِينَا، وأبُوجَا. وأشهر مدنها شرقا أيْنُوغُو، وأوْوَيْري، وكَلاَبَارْ، وأبَا، وبَورتْ هَاكَوْرْتِ، وبِينِنْ. وأشهر مدنها غربًا لاَغُوسْ، وإبَادَنْ، وأبَيْكُوتَا، وإلِيْفِيْ، وأوْيَوْ، وإلِيْشَا، وأكُورَيْ، وأوْشَوْبَوْ، وأبَوْمَاشَوْ، وأيْدَيْ، وإكِرُنْ وإلوْرِنْ، وأوْفَا.

وكانت لاغوس هي العاصمة لنيجيريا من بعد لوْكَوْجَا من مصدر تاريخها، ثم انتقلت حاليًا في اليوم الثاني عشر من ديسمبر ١٩٩١م إلى أبوجا الواقعة في قلب نيجيريا في ولاية النيجر.

ولقد تعددت في نيجيريا اللغات بتعدد القبائل، وتبلغ قبائل نيجيريا مائتين وخمسين قبيلة. ولهذه القبائل لغات ولهجات تبلغ أربعمائة لهجة ۞. وقد لا تفهم قبيلة لسان قبيلة أخرى. ومن لغات نيجيريا لغة {فُلاَنِي، وهَوْسَا، ونُوبَيْ، ويَوْرُبَا،

۞ قاموس كليات المعارف العالمية: المرجع السابق ص ٣٢٦.

وكَانُوري، ومُمُيَيْ، وشُوا عرب، وبرَوْمْ، وتِفِي، وإغالاَ، وإدَوْمَا، وإيبَوْ، وأيغْنْ، وأيْدَوْ، وأيْفِكْ، وأوْرَوْبَوْ، وبَسَّ، وبَربَا، وبُرْغنْ، وتَكَتْ، وأنْغسْ، وجُكُنْ، وجِمْبَا، ولَوْنْغُدَ، وعُورَي، وإبرّا، وإسَيْكِري، وإجَوْ، وأيْكَوْي، ومَرْغِي، وإبيأوْ، وبُرَا، وأغنُو ۞. وأشهر هذه اللغات كلها هي لغة هوسا ولغة إيبو ولغة يوربا.

ولقد تصاهر بعض هذه القبائل مع البعض وتزاوجت إحداها الأخرى، وأعارت بعضها عُرفها البعض. كما كانوا يتبادلون الآراء والثقافات والألسن، فصاروا أشِقَّاء أودّاء، ينفخون في بوق حكومة واحدة، ويأكلون معًا على مائدة واحدة. ألا وهي مائدة الأخوة الوطنية التي يعلوها السلام، ويربطها اللجام، الذي يهدد الانفصام.

۞ المعلومات العالمية لطلاب المدارس الإعدادية النيجيرية، غلاف الكتاب بأجزائه.

▪ اللغة العربية و اللغة الإنجليزية

نيجيريا دولة غنيّة بلغات ولهجات كثيرة. وهي دولة على حقّ لو انبرت تفتخر باللغات التي كيَّفها جوّها لأبنائها، أو باللهجات التي قد فرضتها عليهم بيئتها.

لولا أن كانت اللغة العربية لغة نزل بها القرآن العظيم رحمة للعالمين، ولولا أن كانت اللغة تخدم الدّين الإسلامي، يجرّها معه حيث شاء، ويرسلها حيث يشاء، لَمَا احتاجت نيجيريا إلى تضييف لغة العرب، ولما رحبت بمن هم العرب، إذ كانت لها كفايتها من اللغات. ولولا أن كان الحقُّ تعالى قد أتمَّ نعمته على بني إسرائيل حيث وجد منهم المستعمرون، وابتلاهم بنعمة وفضل على نحو ما نتلوه من قوله تعالى: {وأنِّى فضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} لما بسطت لهم نيجيريا ظهرها ليصعدوا عليه، ولما استمعت إلى همسهم؛ فضلاً عن أن تُحقّق لهم الرجاء. وكفى لنيجيريا ثروةً أن تتخذ إحدى لغاتها لنفسها كاللغة الرسمية، وكفاها فخرًا أن تُلطّم المستعمرين حملة اللغة الإنكليزية وترفض لهم لغتهم. إلا أن الله يأبى إلا أن تقهر نيجيريا اللغتان، لما اختار لهما من الفضل على أهلها ممّا تقدم ذكره. فاستسلمت نيجيريا رغم أنفها أن يلهج باللغتين أبناؤها كرهًا. فقد أطعم الإسلام شعوبها اللغة العربية، كما أسقاهم الاستعمارُ اللغة الإنكليزية سواء بسواء.

وأما عن التعريف باللغتين، فإليك هذا الغيض من فيض تعريفهما في الآتي:

- اللغة العربية

اللغة العربية: إحدى اللغات السامية، والمعنيّ بالسامية، تلك اللغات التي كان يتفاهم بها أبناء سام بن نوح عليه السلام، وكان الشعب السامي العربي يقطنون بلاد الجزيرة العربية وقسمًا من آسيا الغربية وشمال إفريقيا. تمتد مواطنه من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي، ومن آسيا الصغرى إلى المحيط الهندي أو بحر العرب. وكانت اللغة العربية هي أشهر لغات السام وأرقاها جميعًا، وهي أخت العبرانية، والسريانية، والآشورية، والفينيقية، والحبشية، والبابلية. وقد انتخس حظّ لفيف من هذه اللغات، فالتقمها الدهر، ولم تبق حية منها إلا العربية، والعبرانية، والسريانية، والحبشية. وكانت العربية هي أذيع الجميع صيتًا وأرقاها.

وقد زعم بعضهم أن اللغة البابلية أو الآشورية القديمة أمٌّ لبقية هذه اللغات، كما أن اللغة اللاتينية أمٌّ للغات الأسبانية، والإيطالية، والبرتغالية؛ إلا أن المحققين لم يضافروا هذا الزعم، إذ أن اللغات السامية كانت أخوات انقرضت أمّهنّ قبل زمن التأريخ ۞.

۞ جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية: الجزء الأول، ص ٣٥.

والحقّ أن في هذه اللغات وجهًا من التشابه والتركيب، حيث لا يتردّد الناقد البصير بأن يحكم لأول وهلة أن هذه اللغات مشتقة كلها من أصل واحد لتشابهها لفظًا وتركيبًا ۞.

ومن المعلوم عادة أن اللغات لا يتّسع نطاقها ما لم تتداخل بعضها مع البعض، ولا ترتقي ما لم تستق بكأس لغات أخرى. واللغة العربية إقتداء بهذه السنة الفطرية، قد امتزجت باللغات الأخرى، واقتبست من عرفهن. وقد استعارت أسماء العقاقير والأدوات والمعادن، خصوصًا من الفارسية، واليونانية، والحبشية، والعبرانية، والسنسكريتية. واستعارت من الفارسية أكثر مما استعارت من غيرها. ومن الكلمات الفارسية التي دخلت في اللغة العربية: {الجرة، والكوز، والإبريق، والطبق، والديباج، والبلور، والكعك، والفلفل، والزنجبيل، والقرنفل، والمسك، والكافور}، ونحو ذلك كثيرًا. ومما استعارت اللغة العربية من الحبشية أكثره لا يدل على أصله لتغير شكله لتواخيها. ومنها: { الكفلين، والمشكاة، والهرج، والمنبر، والنفاق، والحواري، والبرهان، والمصحف }. وكان أكثر ما أخذته العربية من العبرانية ألفاظًا دينية مثل: {الحجّ، والكاهن، والعاشوراء}. ومن السنسكريتية استعارت: {الصبح، والبهاء، والسفينة، والضياء} ونحوها ۞۞.

۞ محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، الجزء الثاني، ص ٣٣١.

۞۞ جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، المرجع السابق، ص ٤٤٤٦.

وللعرب قبائل وأقسام، وينقسم العرب إلى قسمين: العرب البائدة، والعرب الباقية. أما العرب البائدة فهم الذين بادوا واندرسوا من مثل عاد، وثمود، وطسم، وجديس. وينتسب عاد إلى جدّهم عاد، وهم الذين عصوا رسولهم هودًا، ويسكنون الأحقاف شمالي الحجاز. وينتسب ثمود إلى جدّهم ثمود، وهم من أرسل الله إليهم صالحًا، فعصوه، وكانوا يسكنون الحجر في وادي القرى. وقد أهلكهم الله، ودمدم عليهم بذنوبهم، ولا يوجد من ينتسب إليهم اليوم، قال تعالى: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ. فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ. وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ...} ۞، كما أن قبيلة طسم وجديس، محت الدهور آثارهم في أمواج اللوافح من الحروب.

أما العرب الباقية، فهم على قسمين: العرب العاربة والمستعربة.

وأما العاربة، فهم أصل العرب الباقية جميعًا. ويسمّون القحطانيين، نسبة إلى يعربَ بن قحطان. وقد اضطروا للهجرة من اليمن لانهيار سدّ مأرب حوالي سنة ١١٥ قبل الميلاد، وذلك لاندفاع سيل العرم الذي أغرق البلاد، وأهلك الحرث والنسل، فتفرّقوا في بقية شبه الجزيرة العربية.

وأما العرب المستعربة، فهم العدنانيون. وينتسبون إلى إسماعيل عليه السلام لمصاهرته قبيلة جُرهم التي من نسلها عدنان. وقد

۞ سورة الحاقة، الآيات ٤-٦.

نشأوا في مكّة المكرّمة، ثم تفرّقوا منها في جهات كثيرة من الحجاز، وتهامة، والنجد، والأنباط، وهؤلاء هم عرب الشمال الذين كان منهم قريش ۞.

وللشعب العربي عدّة قبائل وعدة لغات ولهجات، وكان أحسن اللغات الجنوبية ما خلّفه الحميريون من الآثار بالحرف المسند، وكان خير مثال للغة الحجاز لغة القرآن وشعر الجاهلية، إلا أن بين اللغتين فرقا كبيرًا، إذ كان لكل قبيلة من قبائل العرب لسانها. وقد كان لكل لغة قبيلة اسمها الذي تتميّز به، وتعرف لغة اليمن بالمسند، ولغة حضرموت وبعض اليمن بالزبور، ولغة عدن والجند بالرشق، ولغة مهرة والشحر بالحويل، ولغة الأشعريين بالزقزقة، ولغة عرب الشمال باللسان المبين ۞۞. وهذه الأخيرة هي لباب لغة أكثر قبائل العرب التي نزل بها القرآن العظيم.

ومنذ أن بادت العرب البائدة، وبقيت الباقية، لم يبق انتساب العرب، إلاّ إما إلى العاربة، وإما إلى المستعربة. وقد لعب الفريقان دورًا فعالاً في تهذيب وتطوير اللغة العربية، وسيَّروها لتدرك الركب في الارتقاء، فتمّ هذا التهذيب والتطوير في ثلاثة أدوار:

۞ انظر "كتاب العرب في الجاهلية والسيرة النبوية": لمحمد فتحي محمود، ومحمد كامل مراد، ص٥. مؤسسة خالد للطباعة، الرياض {١٣٨٩ه/١٩٦٩م}. وانظر كذلك كتاب "تاريخ الأدب العربي"، لحنا الفاخوري، ص١٣.

۞۞ جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مرجع سابق، ص ٤١.

الدور الأول: يرجع أول تاريخ تهذيب اللغة العربية فيه إلى عهد إسماعيل عليه السلام. وكان النبيّ إسماعيل يتكلّم بالعبرية التي كانت أخت العربية، وذلك قبل أن يمتزج مع العرب عن طريق المصاهرة، فتزوجت اللغتان، فارتقت بذلك العربية.

الدور الثاني: كان تهذيب اللغة العربية فيه يرجع إلى عهد تشعُّب القبائل العدنانية من ذريّة إسماعيل عليه السلام، فقد ضاقت بهذه القبائل ضواحي مكّة، فانتشروا بحكم الطبيعة لطلب العيش.

الدور الثالث: اختصّت قريش بتهذيب اللغة العربية في دورها الثالث، وكانت هي لباب قبائل العرب التي أكرمها الله بتضييف جميع قبائل العرب لكونهم داخل مكّة التي فيها الكعبة. وقد كان العرب يقصدون الكعبة من أطراف بلادهم، ويجتمعون فيها في مواسم الحجّ، كما كانوا يلتقّون في أيامهم، وأسواقهم، فكانت هذه الأماكن جدول التعارف والتعامل والاشتراك، وقد كانت قريش تنال حظًا وافرًا من هؤلاء الضيوف، وهي خلاف ما تكتسبه منهم من الرزق، فقد كانت تقتطف لهجاتهم وطرائق تعبيراتهم، وتأخذ ما رقّ من جمهور تلك اللهجات، وترفض ما خشن. فترقت لغتها بما دخل عليها من منتخل الألفاظ، ومنتخب التعبيرات ۞.

۞ انظر: دائرة معارف القرن العشرين: لمحمد فزيد وجدي، المرجع السابق،

وعلى هذه الأدوار كانت اللغة العربية حتى نزل بها القرآن الذي طوَّرها ووحَّد ألسنتها.

ولما جاء العصر الأموي ثم العباسي، واتسعت الفتوحات الإسلامية وبدأ الحابل يختلط بالنابل، والمدانيس مع الأنفاس، لاتساع الفتوحات. وبدأ اللحن بذلك يتسرب إلى اللسان والقرآن، أخرج الله من يدافعون عن كتابه، ويقوِّمون الألسنة من الألحان. فقد وصوص العرب عيونهم في جمع مفردات هذه اللغة، كما تفلسفوا في تطوير تدوينها وتهذيبها. فظهر إثر هذه الجهود علم اللغة، والنحو، والصرف، والبلاغة، والعروض التي هي سلاح اللغة العربية وعمادها التي تتّكئ عليها، فارتقت العربية بفضل القرآن والإسلام.

هذا، وقد نالت اللغة العربية قبولاً بالغًا لدى الأمم، إذ صارت لسانًا عالميًا بعد الإسلام، وكان عدد الناطقين بها قبل الإسلام لا يتجاوزون مليونًا واحدًا، ثم بلغ الناطقون بها من العرب نحو ثمانين مليونًا بمطلع هذا القرن {العشرين}، وأخيرًا زاد عددهم على مائة وعشرين مليونًا اليوم من العرب، وكان عدد المسلمين الذين تأثروا بها نحو ثمانمائة مليون اليوم أو ألف مليون ۞.

۞ آدم عبد الله الألوري : الصراع بين العربية والإنكليزية في نيجيريا ، مطبعة دار التوفيق النموذجية للطباعة بالقاهرة {١٤١١هـ/١٩٩١م} ، ص - ٧.

- اللغة الإنكليزية

اللغة الإنكليزية إحدى اللغات الراقية الحيّة التي تضجّ العالم بقواها، وكانت أخت الفرنسية، واللاتينية، والألمانية، والبرتغالية، والأسبانية. وكانت هي في مهدها لغة "أَنْغِلُوْسَازَوْنْ" القديمة {Anglo-Saxon} ، يبلغ عدد الناطقين بها أربعمائة مليون في عالمنا اليوم۞. وكان عدد الناطقين بها كلغة الأمّ يربو على مائتين وخمسين مليونًا، وكان معظمهم يقطنون أستراليا، وكَنَدَا، والبرطانية الكبرى، وأيْرلاَنْدْ، ونِوْزَالَنْدْ، والولايات الأميريكية المتّحدة. وينطق بها أيضًا حوالي خمسين مليونًا في الهند والباكستان. كما يزيد عدد الناطقين بها في غير هذه الأماكن على مائة مليونًا.

تتّصف اللغة الإنكليزية بالسهولة، ومن يجيد اللغة الفرنسية، أو الألمانية، أو الإيطالية، أو اللاتينية، أو البرتغالية، أو الأسبانية يدرك قرب الإنكليزية من هذه اللغات، وتيسر له تعلّم الإنكليزية. لأنّ معظم مفرداتها يتّحد مع أو يقرب إلى إحدى أخواتها من هذه اللغات.

۞ ويقول الشيخ آدم الألوري في المرجع السابق وفي الصفحة نفسها نقلاً من كتاب نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، للدكتور علي عبد الواحد الوافي، أن عدد الناطقين بالإنكليزية قبل انتصاف هذا القرن يبلغ نحو ستمائة مليون. فربما بلغ هذا العدد في عصرنا الراهن ثمانمائة مليون لتطور الحياة.

كان علماء اللغة يقسمون تاريخ تطوّر اللغة الإنكليزية وتهذيبها إلى ثلاثة عصور:

العصر الأول: عصر الإنكليزية القديم أو {أَنْغِلُوْسَازَوْنْ}.

والعصر الثاني، عصر الإنكليزية المتوسط.

والعصر الثالث، عصر الإنكليزية الحديث.

وليس هناك حقًّا وقت محدد للإنكليزية القديمة بالنسبة إلى التكلّم بها، إلا أنَّ هذه اللغة نالت حظّ الكتابة بها منذ سنة ٦٩٠م، في حين كانت لغة التفاهم من قدَمُوس• الزمان قبل الكتابة بها. وقد عاشت اللغة الإنكليزية القديمة إلى سنة ١١٠٠م قبل اندثارها. ثم امتدّت بعدها الإنكليزية المتوسطة من تلك السنة إلى سنة ١٤٥٠م. ثم ابتدأت اللغة الإنكليزية الحديثة من سنة ١٤٥٠م إلى هذا التاريخ. وكانت أَلْسِنَةُ التكلم بالإنكليزية في العصور الثلاثة مختلفة متعددة في المفردات واللهجات والأحوال۞.

• قدَمُوسُ: على وزن مَلَكُوتُ وجَبَرُوتُ، وهي كلمة مأخوذة من مَادة "قدُمَ يقْدُم قدْمًا وقدْمًا، وقدُومًا، بمعنى: مضى على وجوده زمانٌ طويلٌ. وهي كلمة كان خالقها أستاذنا المرحوم البرفيسور عليّ نائبي سويد النوفاوي النيجيري الأستاذ الكرسي في كلية الآداب واللغة العربية بجامعة بَايَرَوْ كَنُوْ نيجيريا،وهو مَنْ عارض اللغويين من العرب الدعاة إلى تجديد النحو العربي في السبعينات من هذا القرن العشرين، ورد عليهم ببحوث ورسائل انكتعت بها أصابعهم، وكفتهم عن التمادي بحركتهم. ومن الذين هاجمهم ابن مضاء في كتابه "مشاكل النحو العربي"، ثم الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أيوب بقسم اللغة العربية كلية الآداب، جامعة بغداد، وكان البروفيسور عليّ نائبي سويد من مواليد ١٩٣٧م وتوفي عام ١٩٩٧م رحمه الله.

۞ قاموس كليات المعارف العالمية، مرجع سابق ص٢٤٨.

وقد ارتقت وتطوّرت الإنكليزية القديمة إلى المتوسطة ببعض تغييرات في النطق، ذلك في النطق بمثل {A} في {سَوْفا-Sofa} وكانت تُتهجّى بها "أيْ" {A} وأخيرًا بـ"إيْ" {E}. وفي عصر الإنكليزية المتوسطة، أبَى الناس أن ينطقوا بـ {A} على صورتها الأصلية في أواخر الكلم، فقد بَلْوَرُوا النطق بها. فانتهوا إلى كتابتها بـ{E} في أواخر الكلم، وهكذا كانت {E} نائبة عن{A} ، وتُنطق بها مجهورة في أمثال {نَامَا -Nama، ثيْسَا- Thesa} قديمًا، ومهموسة في {نَايْمْ- Name، وثيْسْ - These} في الإنكيزية اليوم.

وبما أنه قد ضاع للإنكليزية القديمة النطق الأصلي لمفرداتها، كما في المثال السابق، رضيَتْ جبرًا أن تَرمُز معانيها الأصلية إلى مفرداتها المصبوغة بصبغة العصر الحديث.

كانت المفردات المستعارة من اللغات الأخرى هي الأسس في تغيير كلمات الإنكليزية، وكان أكثر مفردات الإنكليزية القديمة مأخوذة من الألمانية. وفي عصر الإنكليزية المتوسطة، استعارت هذه اللغة آلاف مفردات من لغات أخرى، وأكثر هذه المفردات دخلتها من اللاتينية الأصلية، وبعضها من الفارسية الأصلية، وبعضها الآخر غاص فيها من الفرنسية اللاتينية الأصل. وقد دخلها أيضًا عدد غير قليل من اللغة اليونانية بواسطة اللاتينية، وحتى العصر الحديث هذا، لم تتوقف الإنكليزية تستعير من اللغات الخارجية.

الإنكليزية اليوم ظلّت باقية في صبغة الألمانية في ممارسة البناء والتركيب، وكان حقًا أكثر مفرداتها التي كانت بنات الشفاه اليومية، كانت من الجوهر الأصلي. وأمثال هذه المفردات {هَوْسْ House ، هَوْمْ Home ، مَوْثْرْ Mother ، فاثْرْ Father هِيتْ Eat ، دِرِنْكْ Drink} ، وكانت ولا تزال الإنكليزية تستعير حتى اليوم من الفرنسية، والإيطالية، والأسبانية. وكانت أصول غالب كلمات الإيطالية، والأسبانية، من اللاتينية. وقد استعارت الإنكليزية أيضًا ما لا يُحصى عدًّا من كلمات الهندية الأمريكية والأسترالية. وقد أصبحت الإنكليزية لغة ثريّة لسبب هذا التزاوج الكلمي، وكادت تكون هي أغنى اللغات، وتربو كلماتها على ستمائة ألف {٦٠٠,٠٠٠} أكثرها مفردات تَكْنُولُوجِيّة، تستعملها رجالات العلوم، والأطباء، والمحامون، وغيرهم من العلماء في شتّى الميادين.

- أصل اللغة الإنكليزية

لم تُعرف بلاد إنكلترا باسمها حتى سنة ٤٥٠م، ولم تكن سابقًا في هذه البلاد لغة تُعرف بالإنكليزية. وتعرف هذه البقعة فقط قبل هذا التاريخ بالبريطانية. كما يسمى أهل البقعة في ذلك الوقت بالبريطانيين. وكان معظم أهل هذه البلاد يتكلّمون بلهجة {كَلْتِكْ - Caltic} ولما اندلعت حروب الرومانيّين {اللاتينيين} إليهم لسانها، ودمدم عليهم الرومانيون سنة ٤٣م، استوطن

أرضهم الرومانيون، وضغطوا عليهم إلى سنة ٤٠٠م، وهي سنة عودتهم إلى حافرتهم للدفاع عنها زلازل الحروب. وخلال قرن آخر بعد قيام الرومانيين من البريطانية، أتتها بياتًا القبائل الألمانية، وهي القبائل {الأنْغِلِيّة، والسَّكْسَوْنِية، والْجَوْتِية، والفِرْسِينية Angles, Saxons, Jutes, Frisions}- فتكبّست عليها، وكانت لغات هذه القبائل متماثلة، فكان منهم وَضْعُ قواعد اللغة الإنكليزية. فسموا البلاد التي هي {إنكلترا England}- واللغة أهلها التي هي {إنكليزية English} – باسم قبيلة {أنْغِلِيْ Angles}، القبيلة الغالبة التي قطنت معظم البلاد ۞.

أخذت اللغة الإنكليزية ما لا يستهان بها من الكلمات الكلتكية. وللغة اللاتينية كذلك في تهذيب اللغة الإنكليزية اليد الطولى، إذ أن الإنكليزية قد استعارت عددًا من الكلمات اللاتينية قبل محاربة بلادهم الألمانية. وفي السنة ٥٠٠م، قام لفيف من اللاتينيين وهم قبيلة {كَلْتْ} بنشر المسيحية في إنكلترا.
وقد أثرت تلك الدعوة في اللغة الإنكليزية حيث سلبت الإنكليزية كثيرًا من اللاتينية لهذا السبب، وأكثر الألفاظ التي سلبت منها ألفاظ دينية مثل { بِشَوْبْ، ومَسْسْ - Bishop, Mass }.

ولقبيلة السْكَنْدِنَافِيْن والنَّوْرْمَانْ {Scandinavian & Norman} أثر جسيم في تهذيب وتطوير اللغة الإنكليزية، وقد تغلّب

۞ قاموس كليات المعارف العالمية، المرجع السابق نفسه ص ٢٤٨.

الإسكندنافيون على إنكلترا سنة ٨٠٠م، وتقهَّر عليها كذلك النورمان سنة ١٠٦٦م، وقد ساعدت هذه الغارات في انتشار وتطوّر اللغة الإنكليزية.

السكندنافيون جاءوا من { دَنْمَارْكْ ونَوْرْوَأيْ Danmark & Norway} وسكنوا جوانب إنكلترا، وتصاهروا مع الإنكليزيين، وقد نفض السكندنافيون الغبار عن اللغة الإنكليزية وهذّبوها، ومنهم تأثرت الإنكليزية بالكلمات التي تبدأ بـ{سِكْ - SK} مثل: {سْكَايْ، وسْكِيلْ، وسْكَارْتْ- Sky, Skill, Skirt} كما أن منهم أخذت الإنكليزية الضمائر، مثل: { ثَيْمْ، وثَيْأَرْ، وثَايْ Them, Their, They }.

والنورمان نزلت على إنكلترا من الفرس، واستولت البلاد سنة ١٠٦٦م، فأصبحت لغة النورمان هي لغة العلم والقلم في المكاتب والكنائس. وفي أواسط سنة ١٣٠٠م سعدت الإنكليزية للعودة إلى اللغة البحْتِ التي تكتب بها في إنكلترا، وقد تطورت في هذا الوقت وارتقت نوعًا ما، فأصبحت مائات كلمات الفرنسية جزءًا لا يتجزّأ من الإنكليزية، حتى أنها لم تَكْتَفِ عن مدّ لسان الاستعارة إلى الكلمات الفرنسية حتى سنة ١٣٠٠م، وحتى سنة ١٤٠٠م، فدخلتها آلاف الكلمات الفرنسية نتيجة للفتوحات الرومانية ۞.

۞ انظر قاموس كليات المعارف العالمية، المرجع نفسه من الصفحة ٢٤٨ إلى ٢٤٩. وقد اكتفينا بما في هذا القاموس في هذا الموضوع خوفا من التطويل.

▪ دخول اللغة العربية والإنكليزية في نيجيريا

نيجيريا دولة موسّعة بأبواب ومداخل، وأهمّ المداخل فيها المدخل الشمالي والمدخل الجنوبي، ذانك المدخلان المتسعان اللذان يُمرِّغان أيَّ حارس قديمًا لسدّهما، إذ هما مداخل الأقوياء، ومنهم اندفعوا إلى هذه البقعة للسلم والاستعمار.

والمدخل الشمالي: هو ذلك المدخل الذي كان الطريق الموصل إليه الصحراء، ومن هنا دقّ الإسلام واللغة العربية باب الدخول في نيجيريا ليلعبا فيها دورهما بسلام. وأما المدخل الجنوبي، فكان الطريق الموصل إليه البحر {المحيط الأطلسي}، ومن هنا غلغلتها المسيحية واللغة الإنكليزية لتهدّدا شعوبها بالاستعمار.

▪ دخول اللغة العربية في نيجيريا

إن تاريخ دخول اللغة العربية في نيجيريا لمرتبط بتاريخ دخول الإسلام فيها، إذ لم تكن اللغة العربية إلا لسانًا يُفهم به الإسلام. وهي إذًا، خادمة للإسلام يسوقها متى شاء وحيث شاء. وعلاقة اللغة العربية بدين الإسلام كعلاقة الدخان بالنار. ولا يمكن لأحد أن يفصل بين الإسلام وبين اللغة العربية، إلا إذا أمكنه الفصل بين الدخان والنار. لذلك نرى الإسلام كلما دخل قرية، وبسط فيها حصيره، قعدت عليه اللغة العربية، وبسطت هي الأخرى عليه قوادمها مطمئنة.

ومما سجّل لنا التأريخ أن الإسلام كان يرسل عروقه إلى كل قطر ومصر بأحد الطريقين الآتيين، الأول: طريق الفتوح والجهاد، والثاني: طريق التجارة والنزح.

أما الطريق الأول: فهو الطريق الذي يبهر به الإسلام المدن والقرى التي اندلع إليها الفتوح والجهاد، فيذوب جميع أهل البلاد في زمازمه من سيّد ومسود، وقائد ومقود، فيكون ذلك كالطريقة الرسمية لاعتناق الإسلام، تلك الوسيلة التي استخدمها الإسلام للغلبة على ملوك الفرس والروم، ولصرف وجوه حواشيهم إلى مرآة الإسلام. وهي تلك الطريقة التي سار عليها الإسلام لجلب قلوب أهل مصر والمغرب إلى حمى الإسلام منذ القرن السابع الميلادي على يد عقبة بن نافع الفهري فاتح أفريقيا، وذلك في خلافة عمر بن الخطاب. فقد دخل فيها قبله عمرو بن العاص، ففتح هو الشام ومصر. ثم سار على نهجه عقبة، ثم موسى بن نصير، ثم زهير بن قيس، ثم عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة ۞، وإلى هؤلاء يرجع فضل تنوير إفريقيا بنور الإسلام عن طريق الفتوح والجهاد الذي كان أقدم الطريق، وأبهر السبيل لنشر الإسلام.

ينمو إلى علمنا أن أولئك الفاتحين الذين كان الخلفاء يسلّطونهم على كلّ قطر ومصر لم يكونوا إلاّ من العرب، وهم قبل قيامهم

۞ آدم عبد الله الألوري: الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق ص١٩.

من الأقطار الواقعة تحت حمايتهم ينشرون فيها لغتهم مع نشر الإسلام، ويُعلّمون شعوب البلاد القرآن الذي لا تقوم الصلاة إلا بحفظ شيء منه، كما أنهم يعلّمونهم مبادئ الدين التي تكون بلغة القرآن قبل رجوع الفاتحين إلى حافرتهم، في حين أنهم كانوا قد يتركون بعضًا منهم في الأمصار المفتوحة للاستمرار بالتعاليم الإسلامية بها التي كانت بمثابة الثمرة لهذه الفتوحات اليانعة.

وأما الطريق الثاني: فهو طريق التجارة والنزح، فكان اللاعبو الدور الأول هم التجار المسلمون الذين يتجرون من المغرب إلى السودان، ومن شمال إفريقيا إلى جنوبها، ممن يبيعون الملح وغيره لأهل هذه البلاد. وكان لا يكون من غاية مرامهم عرض الإسلام على الذين يتّصلون بهم من أهل البلاد، ولكن سرعان ما يجذب هؤلاء مغناطيس الإسلام الذي قد كان في دم أولئك التجار المسلمين. وقد يعتنق أهل البلاد الإسلام مما يرون من نزيلهم المسلم من خير، وصدق، وأمانة، خلال الأيام القلائل التي قام بها عندهم. فقد يتعجبون من نوع العبادة التي كان يقوم بها، فيستفسرون منه فيعرض عليهم أوضاع هذا الدين، فينتشر فيهم الإسلام.

وأما النازحون، فهم الذين يهاجرون أوطانهم لسبب أو آخر، فقد يكون حبًا للاستطلاع، أو فرارًا من الأعداء، أو استجابة

للقدر؛ فيكون من بين النازحين المسلمون والمظلمون، والعالمون والجاهلون، والصالحون والطالحون. فقد لعب العلماء الرُّحَل دورًا هائلاً في نشر الإسلام، وعلى أيديهم اعتنق عدد كبير من ملوك السودان الإسلامَ، وعلى أقلامهم أنغرست أشجار علوم الدين في غرب إفريقيا. والاستسلام بهذا النوع من الطريق {طريق التجارة والنزح} كان أقدم وأسلم من الأول، وإن كان الاستسلام به ببطء وتسرُّب، وكان الاستسلام بالأول بسرعة وتدفُّق، فكان هو الطريق الذي دخل به الإسلام في نيجيريا، الطريق البطيء الأسلم.

ومما يقرأ من كتب التأريخ، أن الإسلام من أول الوهلة دخل نيجيريا من شمال شرقها، وهو مملكة برنو وكانم، وذلك في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي. وكان أول من اعتنق الإسلام من ملوكها هو " حُمِّي جَلْمِي " الذي تولى عرش الملك من سنة ١٠٨٥م إلى ١٠٩٧م وسمى نفسه محمدًا. وقد أسلم على يدي عالم اسمه حميد محمد ماني، ثم تبع أثره أولاده. ومنهم دُونَامَا الأول الذي خلف أباه في الإمارة من سنة ١٠٩٧م إلى ١١٥٠م، وكان يمارس الإسلام بين قومه حتى حجّ البيت الحرام. وفي عهد دُونَامَا الثاني ١٢٢١م إلى ١٢٥٩م، كان هناك اتصال وثيق بين مملكة برنو وبين بعض بلاد العرب كالمغرب، وتونس، والقاهرة. وخلال القرن الثاني عشر، صارت كانم برنو مركزًا إسلاميًا يورَد إليها العلماء من

مالي لدراسة الفقه الإسلامي، ولم تَكُفَّ كانم تتصل ببلاد العرب من منتصف القرن الثالث عشر إلى الرابع عشر حتى ظهر في كانم نفسها علماء بلغوا القِمّة العليا في كتاية النثر والشعر العربي*.

وممن لعبوا دورًا ملموسًا في دخول الإسلام في نيجيريا مملكة غَانَهْ، خصوصًا الوَنْغِرَاويون الذين أدخلوا الإسلام في كَنْشِنْا وكَنُوْ، بعد سقوط دولتهم، وكذلك المرابطون الذين كانت لهم حركة فعّالة في انتشار الإسلام في غرب إفريقيا عامة، وكذلك الملاويون الذين أسسوا مملكة إسلامية ثائرة عندهم، خصوصًا في أيام مَنْسَا مُوسَى الذي قام بتوسيع مملكته في بلاد السودان حتى ابتلعت أرض غانه، وسَنْغيْ، والسَّنْغال، وبلاد هوسا، وبَرْنُو، ويَوْرُبَا في نيجيريا. وفي عهد منسا موسى انتشر الإسلام إلى بلاد يوربا حتى عرف بدين مَالِي إلى يومنا هذا**.

ذلك، ولكي يتمكن السير وراء البحث بتأمل، من حيث دخول اللغة العربية والإنكليزية في نيجيريا. نرى من المستحسن أن نطرق باب كل أشهر قبائل نيجيريا واحدًا تلو الآخر، لنرى مدى تأثر كل من هذه القبائل بإحدى الثقافتين قبل الأخرى. إذ المسلَّم

---

* علي بَابَاتُنْدَيْ فَافُنْوَا: تاريخ التربية {التعليم} في نيجيريا، الطبعة الثامنة {بلندن ١٩٨٢}. ص ٥٣. A. Babs Fafunwa: History of Education in Nigeria.{8 Impression 1982} Hazell Watson & Viney Ltd. Great Britain.

** آدم عبد الله الألوري: الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق نفسه ص ٢١٢٤.

به، هو أن اللغة العربية هي التي كانت لها فضل الأسبقية للدخول في نيجيريا على اللغة الإنكليزية. كما أن لبعض أشهر قبائل نيجيريا قصب السبق في التأثر بإحدى هاتين اللغتين قبل الأخرى.

ومما لا يخفى على أحد، هو أن القبائل الشمالية لها قصب السبق بالتأثر باللغة العربية قبل القبائل الجنوبية في كثير من النواحي، كما أن القبائل الجنوبية لهم فضل الأسبقية في التأثر باللغة الإنكليزية قبل القبائل الشمالية.

وفيما يلي، نقتصر بذكر أربع قبائل، وهي فُلاَنِي، وهَوْسَا، ويَوْرُبَا، وإِيْبَوْ، لعلمنا أن بقية القبائل من أخوات الثلاث الأخيرة الشقائق، ونخص بذكر قبائل فلاني مع الثلاث، لما لزعيمها الشيخ عثمان بن فودي من فضل تجديد ونشر الإسلام واللغة العربية في نيجيريا، بل في غرب إفريقيا كلها.

- قبائل • فلاني والإسلام

قبائل فلاني قبائل تعيش مع هوسا في شمال نيجيريا، ولكنهم يتمركزون كثيرًا بين ولايتي غَوْنْغَوْلاَ وبلاَتُو، ويصل عددهم ٤,٨ مليون كما أثبتته الإحصائيات سنة ١٩٦٣م. والفلاني من

• القبائل : جمع قبيلة وهي قوم من بطن واحد، وقد تستعمل القبائل لقبيلة واحدة لاختلاف اللهجات "كقبائل العرب". وعلى هذا النهج كنا في استعمال القبائل لكل قبيلة نيجيرية نذكرها هنا.

الناحية الشكلية طويل القامة والأنف، نحيف الجسم، أسمر اللون، شعره أسود طويل. ولقد اختلطوا الآن مع الهوساويين في العادات واللغة حتى لا يوجد بينهما إلا فرق يسير جدًّا ۞.

لا يتناطح العنزان في أن الفلانيين هم أول من عرفوا الإسلام قبل بقية القبائل في نيجيريا، لأنهم كما يقرره المؤرخون أقرب إلى العرب، فمنهم من ينسب أصلهم إلى عقبة بن نافع الفهري فاتح أفريقيا. ومنهم من ينسبهم إلى أصل مصري أو ملاوي، أو غير ذلك. ولكن الذي يهمنا في ذلك هو أنهم أقرب إلى العرب في اللغة والعادات في الشمال من بقية القبائل النيجيرية، الأمر الذي أهَّلهم بلا شك بالتأثر بالإسلام قبل بقية القبائل في نيجيريا ۞۞.

كان من المعلوم أن لقبائل فلاني عروقًا عديدةً ۞۞۞، وكان منهم الملاويون الذين قاموا بنشر الإسلام في غرب إفريقيا، وخاصة منذ عهد مَنْسَا موسى ملك مملكة مَالِي القديمة، فمن الملاويين والونغراويين انتشر الإسلام إلى هذه البقعة كما تقدم.

وأما اللغة الفلانية، فهي قريبة جدًّا من اللغة العربية، وتدقُّ أذنَ المستمع إلى هذه اللغة المفرداتُ والاشتقاقات العربية التي

۞ دروس أساسية في جغرافية نيجيريا: إبراهيم جامع أوْثويَوْ. المرجع السابق ص٢٥

۞۞ راجع الثقافة العربية في نيجيريا: مرجع سبق ذكره، للدكتور عليّ أبو بكر ص ٣٣ ٣٥، راجع كذلك الإسلام في نيجيريا للألوري، ص ص ٢١-٢٣.

۞۞۞ الشعب الفلاني منتشرة في غربي إفريقيا، تجدهم في مالي والسنغال وموريتانيا وغينيا وفولتا العليا والنيجر والكاميرون وتشاد ونيجيريا، راجع مجلة دراسة إفريقية ص ٧٩، العدد السابع، أغسطس ١٩٩٠م، في بحث قدمه الدكتور أحمد إبراهيم دياب.

فيها. وقد أورد الدكتور عليّ أبو بكر عددًا كبيرًا من نماذج تقارب اللغة الفلانية واللغة الهوساوية من اللغة العربية في ثقافته من الصفحة ٣٨٧ إلى ٤٦٩، فعلى الراغب في تحقيق ذلك مراجعة الكتاب.

هذا، وممن كانوا على شاكلة الفلانيين في شمال نيجيريا شكلاً ولسانًا قبيلة شُوَا عَرَبْ، وهي تسكن الحدود الشرقية لِبَرْنُو بجوار نهر تشاد. وقد هاجرت هذه القبيلة إلى برنو في أواخر القرن الرابع عشر، ويقال إنهم كانوا من قبيلة بني هلال التي طُردت من مصر في العهد الفاطمي، بأمر الخليفة المستنصر ۞. وهذه القبيلة بلا شكّ، كانت ممن ألحقت المنظر العربي بشمال نيجيريا، وأثرت شعوبه بالمفردات العربية.

- قبائل هوسا والإسلام

قبائل هوسا هي أكبر القبائل التي تقطن شمال نيجيريا وأكثرها سكانًا، ويشبه شكل الهوساويين شكل السودانيين، وكانت عاداتهم قريبة من عادات العرب لمجاورتهم الملاويين والفلانيين الذين كانوا من العرب، وأيضًا لانتشار الإسلام فيهم من زمن بعيد مما أثر في بيئاتهم، وعاداتهم، وعُرفهم. وكان الهوساويون يتمركزون في ولايات كَنْوْ، وكَتْشِنَا، وجِغَاوَا، وكَادُونَا،

۞ شيخو أحمد سعيد غلادنث: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٢م، ص٤١.

وسَوْكَوْتَوْ؛ ويزيد عددهم على ١١,٧ مليون نسمة حسب الإحصائيات سنة ١٩٦٣م. وتبلغ نسبة المسلمين منهم حوالي ثمانين في المائة ۞. وقد تأثرت اللغة الهوساوية كثيرًا باللغة العربية، كما تأثرت اللغة الفلانية بها، حتى في بعض قواعدها.

وأما دخول الإسلام في بلاد هوسا وتأثر هوسا به، فقد كان مما تقدّم أنه دخل برنو في الشمال الشرقي في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، ودخل في كَنْوْ في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي على أيدي تجار الوناغرة، وكانوا حوالي أربعين عددًا، وذلك في عهد ملكها عليّ ياجي الذي صار ملكًا من سنة ١٣٤٩ ـ ١٣٨٥م، وكان هو الملك الحادي عشر لمدينة كَنْوْ، والذي قد تسمى باسم إسلامي قبل تعنّقة الإسلام، وذلك من حسن انتظاره لتعنّق الإسلام، وقد بنى أول مسجد في كَنْوْ وعَيَّن فيه إمامًا، ومؤذنًا، وقاضيًا؛ وكان هذا القاضي هو عبد الرحمن الزيتي الذي هو زعيم قافلة الوناغرة. وفي عهد الملك يعقوب فيما بين سنة ١٤٥٢ و١٤٦٣م، وصل وفد آخر من مالي إلى كَنْوْ بما فيهم العلماء الفلانيون يحملون معهم كتب التوحيد، والفقه، واللغة العربية. وفي سنة ١٤٦٣ـ ١٤٩٩م في عهد ملك محمد رُمْفا، بدأ الإسلام ينتشر انتشارًا عظيمًا، وذلك لنشاط هذا الملك، ولنزول العلماء إليه في ولايته ذلك الوقت. وقد نزل بكنو

۞ دروس أساسية في جغرافية نيجيريا: إبراهيم جامع أوْثويَوْ، مرجع سبق ذكره ص٢٤ وقبائل هوسا لقبائل واسعة النطاق، وتوجد في الداهومي ومالي وغانا وتوغو أيضًا.

العالم الجليل الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني عند مروره من تُمْبُكتو إلى كنو، ثم إلى كتشنا، فنزل بالملك رُمفا ضيفًا، فاتخذه رمفا مستشارًا له في أمور الدين والدنيا. فقد رسم المغيلي للملك خرائط السياسة والإدارة، وكتب له الرسائل والوصايا، وقد شرب منه أهالي كنو زمازم العلوم، كما أنه قد ألقن الكتشناويين العلوم النافعة، وفتح عيونهم للتفقه في الدين ومعرفة اللغة، وذلك في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي.

وقد أضحت كتشنا مركزًا للتعليم العربي الإسلامي منذ نزول الشيخ المغيلي بها، وزادتها رفعة كونها ملتقى الخطوط التجارية حيث تجتمع فيها أقدام المارّين من التجار والمارّين للحجّ. وقد زار كتشنا عدد من العلماء من جامعة سَنْكُوري وتُمْبُكتو، وكانوا يحملون معهم كتب التوحيد، والنحو، والصرف؛ حتى وقد اشتهرت في كتشنا منذ القرن السابع عشر الميلادي أعلام عديدون، منهم محمد طن مَارنًا المتوفى سنة ١٦٥٥م، ومحمد طن مَاسِنًا المتوفى سنة ١٦٦٧م، وكانت للعلم مرتبة عالية في كتشنا، بل في جميع بلاد هوسا منذ القرن الخامس عشر الميلادي، حتى وقد عُرفت زَاريَا من أهم مراكز التعليم في نيجيريا، يفد إليها عدد من الطلاب العلم يتعلمون منها النحو واللغة ۞.

۞ انظر تاريخ التربية في نيجيريا للبروفيسور عليّ فافُنْوَا، المرجع السابق ص ٥٣، وانظر الثقافة العربية في نيجيريا للدكتور عليّ أبو بكر، ص ص ٣٨ ٤٠، وانظر كذلك حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا للدكتور شيخو غلادنث. ص ص ٤٥-٥٠.

وهكذا كان الإسلام يتطور، والعربية تزدهر في جميع بلاد هوسا، وذلك من عهد بعيد قبل جهاد الشيخ عثمان الفودي.

وأما في الفترات المتأخرة، فقد بلغ الإسلام واللغة العربية ذروة سنامهما في كافة بلاد هوسا، وتُعرف بلاد هوسا في جميع العالم الإسلامي بدولة إسلامية بَحْتة في نيجيريا، لأن منها المجدِّد الفلاني الذي قد أضمرت الأقلام حركته في بطون كتب التاريخ. وليس هنا مجال لذكر المدارس العربية العالية والجامعات التي تهتمّ باللغة العربية الراقية فيها، التي تنتج الرواد الناطقين بالضاد يومًا فيوم.

وفي لغة هوسا عدد كبير من الكلمات العربية لا تزال بعد تهويسها على صورتها الأصلية أو أقرب، فيكون التهويس أو التصريف للكلمات بإضافة شيء إليها، إما قبلها أو بعدها {أي السوابق واللواحق} على نمط ما نجده في التصريف عند العرب والإفرنج، وتبلغ الكلمات العربية التي تتحدّث بها الهوسا نحو خمس وستين في المائة، ويبلغ عدد المسلمين فيهم ثمانين في المائة كما تقدّم، والباقون بين المسيحيّين والوثنيّين.

- قبائل يوربا والإسلام

قبائل يوربا هي أكبر القبائل التي تسكن المنطقة الجنوبية في نيجيريا، وكانوا يسكنون في ولايات أوْيَوْ، وأوْشُنْ، وأوْغُنْ، وأوْنْدَوْ، ولاَغوْسْ، وفي جزء كبير من ولاية كُوَارَه، وجزء بسيط من ولاية بِينِنْ، كما توجد هذه القبائل في دولتَيْ بنينْ {الداهومي} وتَوْغوْ، وكان اليورباويون عادةً يميلون إلى سواد اللون، وسمانة الجسم؛ ولهم باع غير قصير في مجال الأدب، والشعر، والمسرحية. ويبلغ عددهم حوالي ٣,١١ مليون نسمة، كما أقرّته الإحصائيات سنة ١٩٦٣م؛ كما تبلغ نسبة المسلمين فيهم خمس وستين في المائة ۞، وتوجد في لغة يوربا ما يساوي أربعين في المائة من الكلمات العربية، وتحتفظ عليها ولو بحرف واحد على الأقل من أصلها العربي۞۞.

وأما دخول الإسلام في بلاد يوربا، فقد دخل فيها في المرة الأولى على أيدي الملاويين منذ القرن الحادي والثاني عشر الميلاديين، فلم يجد تلبية لندائه، وذلك على يد رجل دخل مدينة إلِيْفَيْ يدعو الناس إلى عبادة الله، وينهاهم عن ترك الأوثان، فلم ينجح في كسب فرد واحد يتحوّل إلى الإسلام، فمات بإلِيْفَيْ بعد أشهر قليلة؛ فقد وجد أهل إلِيْفَيْ مصحفًا في حجرته، فصاروا

۞ دروس أساسية في جغرافية نيجيريا، المرجع السابق نفسه ص ٢٥.

۞۞ آدم عبد الله الألوري: أصل قبائل يوربا، مطبعة الثقافة الإسلامية، أغيغي نيجيريا {١٩٧٤م}، ص٢٤.

يقدّسونه ۞. ثم وصل الإسلام إلى أوْيَوْلَيْ في عهد مَنْسَا موسى سلطان مالي، وذلك في القرن الثالث عشر الميلادي، على يد الملاويين التجار والدعاة، فنسبوه إلى الملاويين، وصاروا يسمّونه بدينهم ۞۞، أي إمَالَيْ تحريف دين أهل مالي.

فقد بدأ الإسلام ينتشر في بلاد يوربا في منتصف القرن السادس عشر، وكان أول مسجد وضع للناس في مدينة أوْيَوْلَيْ، كان في عهد ملكها أجِبَوْيَيْدَيْ {Ajiboyede} حوالي ١٥٥٠م، واستمرّ في الانتشار حتى القرن الثامن عشر الميلادي. وكان أول مسجد بني في ربوة السنة قرب مدينة إلَوْرِنْ حوالي ١٧٠٠م، وبُني مسجد مدينة إوَوْ حوالي ١٧٥٥م، ومسجد كَيْتُو منذ ١٧٦٠م، ومسجد لاغوس عام ١٧٧٥م، وهكذا ۞۞۞.

ولقبائل هوسا وفلاني ومالي أيضًا اليد الطولى على إسلام قبائل يوربا، فقد كان عدد غير قليل من علماء الشمال يتوافدون إلى بلاد يوربا للدعوة والتعليم، كما كان لتجار هوسا وفلاني ومالي الجانب الملموس في تطور الإسلام في هذه البلاد على حد سواء.

ولقد اقتضت السنة الفطرية الإلهية أن ينحدر الماء من الأعلى إلى الأسفل، فأوجب ذلك أن ينشر الإسلامَ كلّ من وقع شمال

۞ آدم عبد الله الألوري: نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا، الطبعة الثانية، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماهير {١٩٨٧م}. القاهرة، ص٣٢.

۞۞ الإسلام في نيجيريا للألوري ص٣٣.

۞۞۞ نسيم الصبا، المرجع السابق للألوري ص ص ٣٣ ٣٥.

غيرهم إلى من هم بجنوبهم من السكان. فبلاد هوسا أعلى بلاد يوربا، وشمال أفريقيا أعلى لكافة جنوبها، ومنبع الإسلام المملكة العربية السعودية التي تقع في قارة آسيا أعلى لجميع قارة إفريقيا، وتبعًا لهذه السنة الفطرية، رأينا أن الإسلام كان أسبق وأكثر انتشارًا في ما وقع تحت السعودية قبل انتشاره في ما وقع فوقها.

وفي بلاد يوربا عدة مدارس عربية إسلامية، وكان أكثر من وفدوا من نيجيريا إلى البلاد العربية لمواصلة دروسهم كانوا من بلاد يوربا، إذ كانت بيئتهم خلاف بيئة هوسا التي كانت للحكومة يدٌ على شعبها في التعليم العربي، وحيث كانت فيها الجامعات التي تعتني عناية كبيرة بالتعمّق في اللغة العربية والدراسات الإسلامية، خلاف ما في بلاد يوربا، فكان طلاّب اللغة العربية من بلاد يوربا يلتمسون المنحة الدراسية بكلّ حرص وشغف إلى البلاد العربية، كي يتعمّقوا في هذه العلوم، فقد فازوا بهذه الأمنية، فارتقت بذلك عندهم اللغة العربية وآدابها.

- قبائل إيبو والإسلام

تعتبر قبائل إيبو أكبر القبائل في المنطقة الجنوبية بعد قبائل يوربا، وتقع بلادهم في الإقليم الشّرقي من جنوب نيجيريا، ويحتلّون ولايات أنَمْبُرَا، وإيمَوْ، وريفرْ، وكِرَوْسْ ريفرْ، وبَنْدَيْلْ. وكان الشعب الإيبووي يتميز غالبًا بسمرة اللون، وسمانة الجسم، وكثرة الشعر في الجسم، ويصل عددهم إلى ٩,٢٥٦ مليون نسمة حسب الإحصائيات سنة ١٩٦٣م، ونسبة المسلمين فيهم تقلّ عن خمسة في المائة ۞.

كانت لغة إيبو لغة عديمة المفردات العربية، ولكنّها غنيّة في ذاتها باللهجات المختلفة، وأشهرها لهجة أوْنِتْشَا التي اشتهرت في ولاية أنَمْبُرَا، ولهجة أوْوَيْري التي اشتهرت في ولاية إيمَوْ. وقد قرّرت قبائل إيبو تفضيل هاتين اللهجتين في مؤتمرات ثلاث عُقدت فيما بين سنة ١٩٧٧م /١٩٨٠م في جامعة نيجيريا إنْسُوكَا لضبط القواعد النحوية والأدبية للغة أيبو ۞۞.

۞ دروس أساسية في جغرافية نيجيريا، المرجع نفسه ص ٢٥.

۞۞ محمد سعيد: الإسلام في بلاد إيبو، وبخاصة في ولاية إيمَوْ، بحث مقدم لقسم الدراسات الإسلامية للحصول على درجة الماجستير بجامعة بايرو كَنُوْ {١٩٨٨م} ص ٤.

- الإسلام في بلاد إيبو والشيخ إبراهيم نياس إنْوَاغُيْ•

الإسلام في بلاد إيبو موضوع حديث العهد لدى الكتّاب، ومقصد كسراب لدى المؤرّخين، ذلك لتأخّر الناس عن معرفة تاريخهم القديم، ولم يعرف منه شيء إلا بعد نزول الإنكليز في هذه البلاد۞، وذلك أيضًا لتأخّرهم في اعتناق الإسلام، ولم يعرف الشعب الإيبووي الإسلام إلا في ثنايا هذا القرن العشرين.

لم يذكر الشيخ آدم عبد الله الألوري الذي كان أول من كتب عن الإسلام في نيجيريا ١٩٥٠م شيئًا عن إسلام إيبو في الطبعة الأولى لذلك الكتاب، وفي طبعة الكتاب الثانية التي ظهرت في ١٩٧٨م، جاء فيه إسلامهم مع حركة الشيخ إبراهيم إنْوَاغُيْ في حدود صفحة واحدة، وكذلك جاء مثل ذلك في الثقافة للدكتور عليّ أبي بكر في حدود صفحة واحدة أيضًا.

فلعل كان أول من أفاض في الكتابة عن إسلام هذه القبائل هو البروفيسور عبد الرحمن دَوْي {Doi} الباكستاني في كتابه: الإسلام في نيجيريا الذي كتبه في السبعينات باللغة الإنكليزية. ثم تناول الموضوع أخيرًا السيد محمد سعيد، المحاضر في قسم

• ينبغي التنفّس طويلاً في الكلام عن الإسلام في بلاد إيبو، لأن ذلك سيكون فائدة الخبر للقراء لحداثته، وموضوع السرور للمسلمين لزيادة أمتهم. وأما الشيخ إبراهيم إنْوَاغُيْ، فهو القائد الإسلامي في تلك المنطقة، وبمثابة الشيخ عثمان بن فودي للإسلام في بلاد إيبو.

۞ الإسلام في نيجيريا، المرجع نفسه ص ١٣٩.

الدراسات الإسلامية في جامعة بَايَرَوْ كَنُوْ باختصاص، وموضوعه: الإسلام في بلاد إيبو، كتبه للحصول على درجة الماجستير سنة ١٩٨٨م، وتنقّس في الموضوع، وجاء البحث أيضًا باللغة الإنكليزية.

وكان ممن كتبوا عن الإسلام شيئًا في بلاد إيبو ضمن كتاباتهم التاريخية قبل ظهور كتاب الأستاذ عبد الرحمن دَوْي ورسالة محمد سعيد بالإنكليزية هو المستبشر جِي، تِي، بَاسْدِينْ، ذكر في كتابه: {بين الإيبَوْويين في نيجيريا Among the Ibos of Nigeria } ذكر فيه أن الإسلام قد تأخّر كثيرًا في بلاد إيبو، خصوصًا في سوق أوْنِتْشَا، وكانت القوات الإسلامية تقوم جنبًا إلى جنب القوات المسيحية فيها عند التجار المسلمين الأجانب، ومع ذلك لم يعرف إيبوي واحد قد اعتنق الإسلام، فضلاً عن وجود مسجد واحد في بلاد إيبو.

وقد بدأ المسلمون يتزايدون في بلاد إيبو منذ عشرين عامًا مضت، ولكن لم يكن هذا الازدياد إلا من قبل الشماليين الذين كانوا ينزلون في البلاد ۞.

وأما المستبشر بَاسِدِينْ، فقد ضرب جدولاً لإثبات هذه الحقيقة، وهذا الجدول يرمز إلى عدد الإيبو الذين قد تتلمذوا في المدارس

۞ باسْدِينْ، جي، تِي: بين الإيبَوْويين في نيجيريا، {طبعة ١٩٦٦م} ص ٣٠٢ بتقديم وتأخير، ويبدو أن العشرين عامًا مضت المذكورة، من الإمكان أن تكون الأربعينات، لأن الكتاب مؤلّف في الستينات سنة {١٩٦٦م}. Basden G.T. Among.

المسيحية، وإلى عدد أولادهم الذين قد تتلمذوا في المدارس المسيحية فيما بين سنة ١٨٩٦ـ١٩١٦م، فكان عدد المسيحيين منهم للفرقة الكاثوليكية "CMS" قبل سنة ١٨٩٦م {٥٨٤} مسيحيًا، وكان عدد أولادهم في المدارس المسيحية قبل الوقت {٥٦٠}، وكان عدد المسيحيين منهم أيضًا في سنة ١٩٠٦م {٢,٤٠٢}، وعدد أولادهم في مدارسهم في السنة نفسها {١,٥١٦}. كما كان عدد إيبو في المسيحية في سنة ١٩١٦م {٢,٦٨٨}، وكان عدد أولادهم في المدارس في السنة نفسها {٢٥,٠٠٠}.. وأما الإسلام فلم يكن له حظ في إيبو واحد يعتنقه في هذه العقود، بل ظلّ يدور بين المسلمين الأجانب في بلاد إيبو حتى هذا التاريخ۞.

ذكر الأستاذ محمد سعيد في أطروحته أن أول من أدخلوا الإسلام في بلاد إيبو كانوا من صيادي الأفيال من قبائل فلاني، ثم صيادي هوسا وكانوري. وكان منهم رجل اسمه دِگَّوْ وأخوه الأكبر اللذان فيما يقال أنهما من كَشْنِا. انتهيا إلى مقرّ مدينة أوْوَيْري اليوم، وكانا هما المؤسسين لتلك المدينة قبل الجهاد العثماني. واستمر صاحب البحث قائلاً بأن التاريخ الشفوي يقرّر بأن دِگَّوْ الصياد كلما أصاب فيلاً، نزع نابه وترك الجثة لأهل القرى الهجاورة. الأمر الذي أوقع محبّته في قلوبهم، فجعلوه رئيسًا في إحدى القرى، وقد كان يذهب لزيارة أخيه في

۞ the Ibos of Nigeria. 1966 المرجع السابق ص ٣٠٤.

مقرّهما أوْوَيْري الذي كان الاسم من أصل فلانيّ فُلْفُدِيّ، وهو من أوَاري، بمعنى " أتيتَ" ۞.

ويذكر تقرير آخر بأن الإسلام قد دخل بلاد إيبو على أيدي تجّار هوسا، وفلاني، ونوفي، ويوربا. ويقرر ذلك الحاج داود وَازري- إمام أوْوَيْري الذي أسلم والده في العشرينات يقرر بأن المسلمين من شمال نيجيريا قد بدأوا يتوافدون إلى بلاد إيبو من بداية هذا القرن العشرين، وذكر منهم مَالَمْ يحيى في مدينة أوْوَيْرى الذي كان سلطانًا لهوسا كما ذكر غيرَهُ بها، ممن أسلم الإيبوويون على أيديهم ۞۞.

كان الإسلام في بلاد إيبو بين الْهَوَى والْهُوَى حتى ظهر فيها من هو المعروف بالقائد الإسلامي في بلاد إيبو في الخمسينات، ذلك هو الشيخ إبراهيم نياس إنْوَاغْيْ. وكان قد أسلم قبل ظهور هذا الشيخ سعيدانِ، كانا من المسيحيين المشهورين في ولاية إيمَوْ. وقد أسلم الشيخان منذ الثلاثينات ۞۞۞، أولهما الحاج سفيان أغْوَسِمْ في أوَوْ - أوْمَامَا، والثاني يوسف أوَّى في أوْوَيْري، كلاهما كانا من الفرقة المسيحية الكاثوليكية، وقد لعب

۞ الإسلام في بلاد إيبو المرجع السابق ص ١٨.

۞۞ كل ما نورد هنا عن الإسلام في بلاد إيبو لا يخرج عن بحث السيد محمد سعيد، وهو العمدة لهذا الموضوع، فلْيُلاحِظِ القارئ.

۞۞۞ ومن هنا يظهر التناقضُ بين هذا المرجع الذي أثبت اعتناق إيبو الإسلام على الأقل قبل الثلاثينات، وبين مرجع المستبشر بَاسْدِينْ السابق الذي أنكر اعتناق إيبو ولو واحدٌ منهم الإسلام حتى بعد الأربعينات. وقد سبق في كلام الحاج داود وازري إمام في أوْوَيْرى بأن أباه، قد اعتنق الإسلام من العشرينات مشافهة مع كاتب هذا المرجع، أي السيد سعيد محمد.

السعيدان دورًا هائلاً في دعوة الناس إلى الإسلام، وكان الأول بعد عودته من الحجّ ينتقل من قرية إلى أخرى لدعوة الناس إلى الإسلام، وكان هو السبب لتأسيس جمعية إسلامية تعرف بجماعة تحرير المسلمين في مدينة أبَا {Aba}، ولم يبدأ يفوح عطر حركة هذه الجمعية خارج بلاد إيبو إلا بعد ظهور الشيخ إبراهيم إنْوَاغُيْ في الخمسينات. ولمّا ظهر الزعيم الأكبر لمسلمي بلاد إيبو الشيخ إبراهيم نياس إنْوَاغُيْ في قرية أنْوَفِيَا تحت الحكومة أفِكْبَوْ المحلية بولاية إيمَوْ، وجعل هو يدعو بكل حرص واهتمام إلى الدين الإسلامي، استغلظ واستوى سوق هذا الدين في البلاد حتى بدأ يؤتي متعنقيه أكله كلّ حين بإذن ربه، فصار إنْوَاغُيْ رسول الله والإسلام بين أهله، وناصر الدين بين قومه، ومنقذ الضآلين بين بني لغته.

ذكر البروفيسور عبد الرحمن دَوْي {Doi} أن الشيخ إبراهيم إنْوَاغُيْ قد أسلم لسبب رؤيته مرارًا وتكرارًا لرجل في منامه وعلى رأسه العمامة، كان يدعوه إلى الإسلام، فكان يضطر بهذه الأحلام ولم يجد راحة في نفسه في ذلك حتى اتصل بعلماء الإسلام للاستفسار، فأخبروه بأن الشخصية التي كان يراها في منامه هو ذلك الزعيم الروحاني الصّوفي التيجاني في غرب إفريقيا، الشيخ إبراهيم نياس الكولخي في السنغال[۞].

۞ الإسلام في بلاد إيبو ، ص ٢٤.

ويؤيد هذه الرواية قول ابن أخ للشيخ، اسمه داود إنْوَاغْيْ، قال إن ذلك الذي يراه الشيخ في العمامة في المنام نهاه يومًا بترك الكنيسة، ففعل الشيخ ذلك. ثم أخذ الشيخ قلمه، فبدأ يرسم خيال صاحبه في المنام، فترك في حينه قريته فعلاً خارجًا في طلب صاحبه، فاتجه نحو النيجر، ثم إلى غَانَهْ، ثم إلى مَالي يبحث عن داعيه إلى الإسلام، ثم انتهى أخيرًا إلى الكولخ. فسرعان ما اعتنق الإسلام على يدي الشيخ إبراهيم الكولخي حتى اختار موسى اسمًا لنفسه، ولكن الشيخ نياس رفض له هذا الاسم، فاعطاه اسمه حبًّا فيه، وهو الشيخ إبراهيم نياس إنْوَاغْيْ[۞].

وتقول رواية أخرى عن إسلام الشيخ، ذكرها عمر إسُّو من أمَوْزُو بأن الشيخ إنْوَاغْيْ ترك أنَوْفِيَا إلى فارْنْدَوْبَوْ ومعه ثقافة بسيطة، وكان ذا همّة عالية، فدفعه كلّ ذلك إلى الاتجاه إلى مدينة لاغوس يستوطنها مع بعض أقاربه. فلقي في لاغوس أذىً، فاتّجه إلى كَوْتَوْنُو، ثم إلى سيراليون حيث وجد وظيفة متواضعة، ثم وقع في حِيصَ بيصَ فيها، فألقي القبض عليه. وبعد تخلّصه من هذه الفتنة، فرّ إلى السنغال، فقام بها وهو يعمل حتى أسلم على يدي الشيخ الكولخي، واستقرّ به فيها المقام لمدة ستة أعوام، يتتلمذ على الشيخ إبراهيم نياس الكولخي، وقد عيّن له الشيخ أيضًا أحمد السام يدرّسه حينًا،

[۞] المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها.

ويدرسه الشيخ نفسه حينًا آخر ۞.

عاد الشيخ نياس إنْوَاغْيْ إلى حافرته بلاد إيبو، فنزل في أفِكْبَوْ ١٩٥٧م، فجعل يدعو الناس إلى الإسلام. فكان ممن أسلموا بين يديه عُمر إسُّو، سكرتير الشيخ، وصاحب الرواية الأخيرة. وقد رافق عمر إسُّو الشيخ إلى أنَوْفِيَا ١٩٥٨م لعرض الإسلام على أهلها، فكان له فيها مثل ما كان له في أفِكْبَوْ من سرعة إجابة الناس لدعوته إلى الإسلام، حتى وقد دُفع له غول للاستسلام وهو في زيّه الشركي المدهش.

وفي شهر أكتوبر ١٩٥٨م عاد الشيخ إنْوَاغْيْ إلى قريته أنَوْفِيَا لزيارة المسلمين الذين قد كتب الله لهم أن أسلموا على يديه، وكان ذلك اليوم يوم مشهود للشيخ، كاد كل سكان القرية يسجيبون لدعوة الله في ذلك اليوم، وقد شهد الحفل كل من مسلمي هوسا وفلاني ويوربا من جميع أنحاء بلاد إيبو، حتى وقد شهدها رجال الشرطة من أفِكْبَوْ، فكأنما كان ذلك اليوم يوم فتح مكة للنبي لدى الشيخ إبراهيم أمام الوثنيين في البلاد.

بعد حفلة الفتح المقيمة في أنَوْفِيَا، شرع الناس يدخلون في دين الله أفواجًا، فصارت أنَوْفِيَا كالمدينة المنورة للشيخ إنْوَاغْيْ، حتى وقد قلب معبدهم لصنم أغْبَيْلِيْ جُوجُو مسجدًا سنة ١٩٥٨م، وذلك بعد هدم الأصنام. فأذّن بالمكان الشيخ سليمان

۞ المرجع نفسه ص ٢٥ وما بعدها.

للصلاة، وكان هو عالمًا قد أسلم قبل الشيخ إبراهيم، فأقيمت بالمكان الصلاة. فقد شنّت إثر الحادثة ثورة، أوقعت القبض على الشيخ إِنْوَاغُيْ وعلى سبعة آخرين من المسلمين. فقد تكفّل الحاج إدريس النوفاوي الساكن في أوْنِشْشَا بإطلاق سراح هؤلاء المؤمنين من مركز الشرطة.

وما إن طُلِق سراحُ الشيخ إبراهيم إِنْوَاغُيْ من مركز الشرطة بعد حادثة هدم معبد الكفار حتى بدأت الحركة الإسلامية تضجّ بلاد إيبو، فبدأ الناس يهرعون إلى الشيخ للإسلام. وفي سنة ١٩٦٠م خرج الشيخ مع بعض أتباعه إلى أفِكْبَوْ، فنفخ بالوعظ في البوق علنًا على رؤوس الأشهاد في أكبر سوق أفِكْبَوْ، ونادى على كل من الوثنيّين بالندم على ما فات، وصرف النظر عن الشرك وعنادة الأصنام، والعودة إلى الحمى الإسلامي. فقد هاجم على الشيخ بعض صناديد كفار المدينة، فردّ على خطاب الشيخ؛ ولكنّ هجومه هذا لدى الشيخ كالماء المصبوب على البيضة، أو كنباح الكلب على القطار.

كره مشركو إيبو ومسيحيوها من كان مسلمًا إلى حدّ كبير، وكانوا يضحكون منهم كلما رأوهم يصلّون، ويقولون بأنهم إِنْدِيْ ألاكُوبَا تحريف: {الله أكبر} والمعنى عندهم: "الذين يقولون الله أكبر" أو الذين يلتصقون على الأرض عند العبادة، لان "ألا" من " ألاكُوبَا " عندهم بمعنى: الأرض، حتى وقد

عُرف الإسلام بدين هوسا وفلاني ۞، كما عرفه اليوربا بذلك من فجر إسلامهم، أو بدين الملاويّين.

هذا، ومن الذين لعبوا دورًا سجّالاً في الدعوة إلى الله واتخاذ الإسلام دينًا في بلاد إيبو البروفسور عليّ بَابَاتُنْدَيْ فَافُنْوَا وزير التربية والتعليم السابق في نيجيريا، وكذلك البروفيسور عبد الرحمن دَوْي الباكستاني صاحب كتاب "الإسلام في نيجيريا" المكتوب بالإنكليزية الذي تقدم ذكره. ولهما دور سجّال في نشر الإسلام أيام أن كانا محاضرين في جامعة نيجيريا بمدينة إنْسُوكَا. فقد انتهز الاثنان فرصتهما لنشر الدين الإسلامي في المنطقة، خصوصًا في مدينة إنْسُوكَا، فأسّسا جمعية إسلامية بها سنة ١٩٦٥م، فبدأت الجمعية تؤدي رسالتها داخل مركزها وخارجه. فقد أسّست الجمعية مدرسة ابتدائية لتعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي، فكانت هذه الجمعية تعقد اجتماعات ومقابلات دينية، يدير هذه الاجتماعات البروفيسور فَافُنْوَا لتثقيف المسلمين، وكان يحضر الاجتماع كل من مسلمي إيبو، وهوسا، وفلاني، ونوفي، ويوربا ممن يسكنون في مدينة إنْسُوكَا وما حولها.

وأما البرفيسور عبد الرحمن دَوْي، فكان هو الإمام بمسجد مركز الجمعية، وكان يساعده إمامان آخران في بعض المهمات،

۞ المرجع السابق ص ٣٢.

وهما الإمام مَالَمْ إنْدَانْ جَيْغَا في إبَاغْوَا إنْكُوَوْ، والإمام مَالَمْ أدَمُو إبراهيم في أيْنُوغُو أيْزِيكَيْ، وكانا نوفيوييّين، وقد ساق البرفيسور دَوْي سفينة الجمعية في هذا المركز إلى أسلم الميناء[۞].

وأما البروفيسور الحاج عليّ بَابَاتُنْدَيْ فافُنْوَا فهو أبو التربية والتعليم في نيجيريا، وأول من تخصّص فيهما في هذه الديار؛ ولد في مدينة لاغوس في سبتمبر ١٩٢٣/٢٣م، وتوفي حديثًا في أكتوبر ٢٠١٠/١١م رحمه الله.

كان من الطبيعة أن من اعتنق الإسلام عن حداثةٍ من غير وراثة أكثر من يكون إيمانه قويًّا، وتمسّكه بالدين ودفاعه عنه شديدًا، وهذا مثال لقوة إيمان إيبو المسلم. ومما يدل على ذلك أن الشعب الإيبووي الكافر، قد اتّهم عيسى أيْغِوُ جُوكُو الإيبووي المسلم الذي كان نائب إمام مسجد أنْوْفِيَا، اتهموه بأنه كان يسعى في فشل حركة الانفصال البيافراوي أيام الحرب الأهلية في نيجيريا، فألقِي القبض عليه، فذهبوا به إلى أوْدُومَيْغُو أوْجُوكُو زعيم بيافرا، فأمر أوْجُوكُو بإشعال النار على قلنسوته، ثم أمره بأن يقبض على القلنسوة لتأكل النار رأسه ويديه، ففعل الإمام عيسى ما أمر به؛ ثم غاظ إيمانه أوْجُوكُو، فأمر بإطلاق النار عليه. فلم يتردّد عيسى من ذلك، بل طلب من أوْجُوكُو أن

[۞] الإسلام في بلاد إيبو ص ص ٣٠ /٣١.

يسمح له ليقضي صلاته الأخيرة. فلما انتهى من صلاة ركعتين، استغاث بالله على عدوّه، ثم سأله أوْجُوكُو عما بقي له مما يفعل في حياته، فأجاب بالنفي! فأنزل الله المغيث رحمته على عبده المؤمن من حينه، فأمر أوْجُوكُو بإطلاق سراحه بدلاً من إطلاق النار عليه، وكان لم يحدث مثل ذلك لأحد قط عند أوْجُوكُو قبله[1].

ومما دلَّ على تأثير الإسلام في بلاد إيبو في صورة عامة، أن أقلية مسلمي إيبو قد حاولوا نشر الوعظ والإرشاد الديني بواسطة راديو، فكتبوا إلى دار إذاعة أيْنُوغُو سنة ١٩٦٦م لتحقيق الغرض، ولكن خُيّبت لهم آمالهم بإرجاعهم إلى إذاعة إبَادَنْ وكَادُونَا اللتين تعتنيان بمثل هذه البرامج الدينية[2].

وقد انتشر الإسلام في بلاد إيبو حتى نبتت فيها مراكز، ومدارس، ومساجد. وأول مسجد في بلاد إيبو يرجع تاريخه إلى ١٩٤٥م، وتم بناؤه على أيدي التجّار اليورباويّين المسلمين، وكان المسجد في مدينة كَلاَبَارْ، وذلك قبل ظهور إنْوَاغُيْ زعيم الدين الإسلامي في طول وعرض بلاد إيبو[3].

هذا، ولمّا استغلظ واستوى الإسلام في بلاد إيبو، وضمّ تحت جناحيه ما بين بَوْرْتِ هَاكَوْرْتْ وكَلاَبَارْ. أجمع مسلمو إيبو

---

[1] المرجع السابق ص ص ٤٢ / ٤٣.

[2] المرجع السابق نفسه ص ٣٢.

[3] المرجع السابق نفسه ص ٣١.

رأيهم، فأرسلوا وفدين إلى كلّ من شمال وغرب نيجيريا، وقد صادف كلّ من الوفدين حظًا وافرًا من جماعة نصر الإسلام في كَادُونَا، ومن الجماعة الإسلامية في لاغوس، الأمر الذي هيّأ للشيخ نياس إنْوَاغُيْ السفرَ إلى البلاد العربية لطلب المساعدة الماديّة لبناء مركز إسلاميّ في سنة ١٩٦٢م، فخرج هو مع عثمان جَاسْ إلى مصر والسعودية، فعاد بغنيمة ضخمة من رابطة العالم الإسلامي، فصرف هذه الأموال في تشييد التراث الإسلامي من مسجد، ومدرسة، ومكتبة، ومستشفى. فصار الشيخ إنْوَاغُيْ يدير مركزه الإسلامي في أَنَوْفِيَا، المركز الذي قد بدأ يخرج الرواد المثقفين في الدين واللغة العربية منذ وقت تأسيسه كما سوف نرى فيما بعد.

هذا، ومن شدّة إيمان الشيخ إنْوَاغُيْ وحرصه على الإسلام ومحبة العرب، فقد تزوّج الشيخ إنْوَاغُيْ بمصريّة إبّان عودته إلى نيجيريا في رحلته إلى البلاد العربية، وكانت المصرية من حيّ قلعة بالقاهرة واسمها مريم۞. كما أن المصاهرة قد أخذت تتبادل بين مسلمي إيبو ومسلمي يوربا، وهوسا، وفلاني، ونوفي، وإغالاً على حدّ سواء، تلك المصاهرة التي أوطدت عمود الأخوة والمحبّة بين مسلمي إيبو ومسلمي الأجانب في ذلك المحيط.

۞ حدثني بهذا الزواج الشيخ عبد الرحيم أكنْدَيْ الإبَادَنيُّ في مدينة كَنُوْ، وكان من الذين استقبلوا الشيخ إبراهيم أيام تتلمذته في الأزهر الشريف في الستينات، ولم يتردَّد هو في اسم وحَيِّ تلك المصرية..

وهذه هي الخطوات التي مهدها مسلمو إيبو للإسلام واللغة العربية فيبلادهم مما قام به زعيمهم الشيخ إنْوَاغُيْ وأنصاره، كما كان للبروفيسور عليّ بَابَاتُنْدَيْ فافُنْوَا والبروفيسور عبد الرحمن دَوْي اليد الطولى في انتشار الإسلام في البلاد، ونشر بذور اللغة العربية فيها كما تقدّم، وجزاهم الله عن الإسلام خيرًا. وأما عن وفاة الشيخ إبراهيم نياس إنْوَاغُيْ، فقد كانت رحمه الله في ١٩٧٥م.

■ دخول اللغة الإنكليزية في نيجيريا

عندما لم يكن للغة العربية أن تدخل في نيجيريا إلا وهي متعلقة بقائدها الإسلام، كذلك لم يتمكّن للغة الإنكليزية الوصول إلى ميناء نيجيريا إلا وهي متعلقة مجرورة بقائدتها المسيحية التي دامت تتجوّل بها زمنًا ثم انفصلت عنها أخيرًا. أو قُل، هي التي باضتها من فجر دخولها نيجيريا وحضنت عليها، فتمخّضت منها أفراخ ربّتها زمنًا، ثم طارت هذه الأفراخ هجرانًا من تحت رعيتها المسيحية، فبدأت تضحك منها وهي تترفرف في جوّ السماء.

الأصل في لغة المسيحية اللغة العبرانية التي بها أنزل الإنجيل على سيدنا عيسى عليه السلام، والحق أن نبي الله عيسى مسلم كما شهد لذلك القرآن. إلا أن الذين كان في ودّهم أن يؤلّهوا عيسى، هم من أرادوا تصيير دينه طينًا، وإسلامه إظلامًا، وعسله أسلاً، وهم الذين سمّوا إسلامه مسيحية ۞.

وقد كان الذين كتبوا الإنجيل، كتبوه بعد رفع سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام بلغات مختلفة، وفي أوقات متباينة، وفي أماكن متباعدة، كتبوه عن سيرة حياته، وأحواله، وحركاته؛ فانفجر منذ ذلك الوقت الخلاف في الإنجيل، فبلغ الخلاف كنهه إلى

۞ لم يُعرف أتباع سيدنا عيسى عليه السلام في حياته بالمسيحيين، فإنما عُرفوا بالنصرانيين. ولكن لُوقا تلميذ بَوْلسْ، تابع التابعين لعيسى عليه السلام، والذي كتب إنجيله باليونانية بين سنة ٥٣ ـ ٦٤م، هو الذي سماهم مع مُعلّمه بَوْلسْ بالمسيحيين، راجع تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس اليوم، ص ١٠٠ للشيخ آدم عبد الله الألوري.

يومنا هذا. لذلك نرى الخلاف بين من ينشرون المسيحية في الأقطار اليوم، حينما نرى بعضهم ينشرونها بالإنكليزية، نرى بعضهم الآخرين ينشرون تعاليمها بالفرنسية، وبعضهم الآخرين ينشرونها بالتركية، يخرجون كلّهم عن النطاق الأصلي للإنجيل، في حين لا نرى من يدعو إلى الإسلام ينصرف عن اللغة العربية لدعوته إلى الله فيتخذ غيرها بديلة.

- قبائل يوربا والمسيحية

أما عن دخول الإنكليزية في نيجيريا، فبما أن مدخلها من الجنوب عن طريق المحيط الأطلسي، فقد صافح أول بواخر الإفرنج ميناء نيجيريا عام ١٤٧٢م، بواسطة بعض البرتغاليين الذين نزلوا للتجارة في هذه البلاد، فمرّوا بمدينة لاغوس إلى بينِنْ وشمموا ما في البلاد من الخير والبركة ۞.

ولما كان العام ١٤٨٥م نظم البرتغاليون أقدامهم على صحيفة مدينة بينِنْ، وجرت بينهم وبين ملك بينِنْ مفاوضات لعقد اتفاق تجاريّ بين البلدين، فصاروا يشترون العاج، والفلفل، وزيت النخيل، والبنادق، والنخاسة، مقابلاً لما يأتون به من الأدوات الحربية، والحرير، والخفر، والبنادق، والخناجر، ونحو ذلك من منتوجات بلادهم. ولقد تردّد البرتغاليون إلى هذه المدينة حتى

۞ تاريخ التربية في نيجيريا، المرجع السابق للبروفيسور عليّ بَابَاتُنْدَيْ فافُنْوَا ص ٧٤.

العام ١٥١٥م، فاقترحوا على ملك بينِنْ وأمرائها بتعليم أولادهم القراءة والكتابة. فباضوا على عشّ هذا التعليم التبشير الكاثوليكي، فتمخّض بها قليلاً حتى انتقل إلى قبائل إيبو سنة ١٥٢٠م ❁، ولم يستقرّ بها طويلاً حتى جذرته تجارة الرقيق التي عمّت جميع غرب إفريقيا ببلواها❁❁، ولم يبق له أثر يذكر، وهذه هي المحاولة الأولى لإدخال حركة التبشير في نيجيريا.

أخذت بواخر الإنكليز تصافح ميناء نيجيريا بغية التجارة، والتبشير، والاستعمار عام ١٥٥٣م، وهذه المرة أدهى من الأولى وأمرّ. فقد نزلوا نيجيريا على أغراض مختلفة، فتواروا أول مرة وراء التجارة، وتجري وجوههم حيث ترحب لهم به الأرض لنشر بذور التبشير التي كانوا يكمّمونها تحت آباطهم مع ودّ الاستعمار الذي قد رسخ في أعماق قلوبهم.

لم يستقرّ بالإنكليز حقًا المقام حتى تركوا شواطئ نيجيريا ❁❁❁ وذلك لمرض الحمى التي قد قتلت منهم حوالي ثمانية وأربعين❁❁❁❁، ثم عادوا سنة ١٥٨٨م، وفي هذا العام بدأ نوع من الاستقرار التجاري لدول أوروبا يأخذ مكانه في العالم أجمع،

❁ أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، المرجع السابق ص٥٨١.

❁❁ عليّ فافنوا: المرجع السابق ص ٧٥.

❁❁❁ أحمد شلبي: الموسوعة نفسها ص ٥٩٤.

❁❁❁❁ عليّ أبو بكر: الثقافة العربية في نيجيريا، المرجع السابق نفسه ص ١٢٦. وتاريخ التربية في نيجيريا لعليّ فافُنوَا ص ٧٨

فأنشئت أسواق بعضها تابع لإنكلترا وبعضها تابع للبرتغال وهُوَلَنْدَا، فبدأت التجارة بالعاج، والفلفل، وزيت النخيل؛ ثم أدمجوا التّبر مع التّرب، فاتّجهت التجارة كلها إلى الرقيق ❁، واستمرّ هذا النشاط إلى أواخر القرن الثامن عشر، وتمّ إعلان إلغاء تجارة الرقيق على أيدي الإنكليز سنة ١٧٧٢م ❁❁، فاتّخذوا ذلك وسيلة للتدخّل في شؤون نيجيريا باسم القضاء على تجارة الرقيق، وكان ذلك مبدأ الاستعمار البريطاني لنيجيريا ❁❁❁.

ظهرت للإنكليز فكرة إنشاء وطن للعبيد المتحرّرين بسَيْرَاليَوْنْ، فأنشأوا مدينة فِريتَاوُنْ بخمسة عشر ألف عبد، فباض التبشير في ذلك فكرة إنشاء كلية فُوْرَابَي لتخريج الأساقفة من المتحررين، فتبلورت هذه الفكرة، فصارت الكلية تخرج عددًا من أبناء العبيد الذين جُلبوا أولاً من نيجيريا، ومن أوائل هؤلاء سَمْوَيْلْ أجَايي كِرَاوْثْرْ الذي وضع حروف كتابة لغة يوربا بالحروف اللاتينية، فترجم بها الإنجيل مبشّرًا ومعلّمًا ❁❁❁❁.

وفي سنة ١٨٣٩م سافر وفد من قبيلة يوربا إلى سيراليون بإشارة من حاكمهم {الحاكم البريطاني للإقليم الغربي} وبإذن

❁ أحمد شلبي: الموسوعة نفسها ص ٥٩٤.

❁❁ آدم عبد الله الألوري: نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا، المرجع السابق ص ١٧٢.

❁❁❁ أحمد شلبي: الموسوعة نفسها ص ٥٩٤.

❁❁❁❁ نسيم الصبا للألوري، الصفحة نفسها.

الملكة من إنكلترا يطلبون منها تأسيس عاصمة للمتحرّرين تحت رعايتها في بَدَاغِري، وألحقوا بهذا الطلب إرسال المستبشرين معهم، فوصل عدد من اليوربا المتحرّرين إلى بَدَاغِري ١٨٤٠م خارج الرعاية البريطانية، ولم يكن فيهم مستبشر واحد ❁.

ومعنى هذا أنه لم يكن في جملة الذين رجعوا إلى نيجيريا من حضروا كلية فُوْرَابَيْ التبشيرية، ولو حضروها لكانوا من الأسقفين المبشرين، فلعل الوفد الذي قدم سيراليون للرجوع بهؤلاء المحرّرين من اليوربا كانوا من أسْر هؤلاء المسلمين، فلعل إلى هؤلاء المرجوعين بهم يُشير الألوري في قوله:

"وكان من فضل الله على الإسلام أن بقي من هؤلاء المتحررين مئات احتفظوا بعقيدتهم في ديار العبودية إلى أن تحرّروا، فانضم طائفة منهم إلى الذين سكنوا فِريتَاوُنْ وسيراليون وطائفة أخرى طلبوا إرجاعهم إلى وطنهم الأصلي وتخصيص مكان لهم للسكنى حيث لم يعودوا يعرفوا أهليهم ولا هم يعرفونهم، فوافق المسؤولون على ذلك فخصّصوا لهم في جزيرة لاغوس قطعة واسعة في الجزء الغربي منها، واقتطعوا لكل أسرة أرضًا للبناء والسكن، فهؤلاء هم الذين تجد مع أسمائهم العربية الإسلامية أسماء أسيادهم في البرازيل

❁ عليّ باباتندي فافنوا: تاريخ التربية في نيجيريا، المرجع السابق ص ٧٨.

وغيرها، مثل: مَارْتِنْ، وكَوْلْ، ولاَغُودْ، وتَوْمْسِنْ، وسَافِيجْ، وأُغُسْطُسْ... وهي أسماء أسيادهم التي بها عرفهم المسؤولون أنهم تحرّروا من أولئك الأسياد، ولهم في حارتهم مسجد فُوْرَابَيْ في فِرِيتَاوُنْ، كان يؤمّهم الحاج عيسى الألوري. فكان هؤلاء أول حجر عثرة التبشير في لاغوس، لأنهم أول من عرفوا كيف يتعاملون مع السباع، لذا خذروا الناس من الوقوع في شبكة التبشير عن طريق التعليم والتطبيب والتوظيف وغير ذلك" ۞.

وفي سنة ١٨٤١م وصلت الدفعة التبشيرية الأولى إلى نيجيريا، ووطأت أقدام المبشرين أول مرة مدينة بَدَاغِري ۞۞ إثر طلب الوافدين إليها من سيراليون الذين ألحّوا عليهم بضرب العجل لنقل التبشير إلى بداغري، فقد حبّذ رجال الكنائس في سيراليون هذا الرأي، فقاموا يطلبون من يضافرونهم لتحقيق هذا الغرض، فهاج منهم متحمِّس قائلاً: "مما يستحسن حمله إلى واد النيجر الإنجيل والمحراث" ۞۞۞.

وكذلك كتب أحد المتحرّرين من أَبَيْكُوتَا إلى ثُوْمَاسْ دَوْفْ في سيراليون قائلاً: "... بعزّة المسيح نُريدك حالاً... لا تدع شيئًا يمنعك إلا المرض... هلمّ {للتبشير} أطاع اللهَ قلوبٌ...، لا تَعْتَن

۞ نسيم الصبا المرجع السابق، ص ص ١٧٢/١٧٣.

۞۞ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

۞۞۞ ولعل هذا هو أصل الأناشيد التي يتلعمها اليوربا في المدارس الابتدائية من قولهم: التعليم بدون المحاريب والخناجر لا يتمّ لا يتمّ، الفلاحة هي عمل بلادنا، ومن لم يعمل يسرق.

بتبديل لباسك، ولا تأكل، ولا تشرب، ولا تنم، ولا تسلّم على أحد في الطريق، قم من حينك لله، ولا تتركني في هذا الكرب، وهو عليّ شآق شديد " ۞ .

وتلبية لهذا الطلب، أرسل ثوْمَاسْ بَرْجِي فِريمَان، وكان مختلط الأبوين {كان والده غانويًّا، ووالدته بريطانية} فأرسله ثوماسُ أول مرة إلى بداغري ١٨٤٢م لتحقيق هذا الطلب، ثم التحق به سَمْوَيْلْ أجَايي كِرَاوْثرْ ١٨٤٥م، فاجتمع هو معه وزوجتاهما في حقل الدعوة والتعليم، وقد باتوا على نية حمل التبشير إلى مدينة أبَيْكُوتَا، ففشل ذلك لموت الملك الذي أخذوا منه الميثاق في أبَيْكُوتَا، فرجعوا إلى بداغري كابوسين منتظرين الفتح لمدة ثمانية عشر شهرًا ۞۞.

بدأ التبشير يتوطّد في مدينة لاغوس شيئًا فشيئًا، فبنوا بها أول مدارسهم الكاثوليكية الرومانية سنة ١٨٤٤م، ثم مدرسة الجمعية الإرسالية الكنيسية، ثم مدرسة البنات ١٨٥٩م للجمعية المذكورة ١٨٦٨م، كما كانوا يتطاولون في بنيان الكنائس والمستشفيات في المدن والقرى المجاورة لمدينة لاغوس من ذلك الوقت .۞۞۞

۞ علي فافنوا، المرجع نفسه ص ٧٨.

۞۞ المرجع السابق نفسه ص ٧٩.

۞۞۞ نسيم الصبا للألوري ص ١٧٢.

مما أثر في انتشار التبشير في لاغوس وساعد الإنكليز على التدخُّل في أمورها نزاع قام بين أخوين على عرشها، واستعان أحدها بالإنكليز، فانتصروا له على الثاني وعيّنوه على العرش، وعقد معهم معاهدة تتضمن توسيع أعمال التبشير المسيحي وإطلاق الحرية لهم لإقامة معسكراتهم أنّى يشاءون ۞.

وهذا النزاع جرى بين ملك أكِنْطوْيَيْ {Akintoye} الأول الذي كان ملكًا للاغوس فيما بين ١٨٤١-١٨٥٣م وبين كَوْسَوْكَوْ { Kosọk} الذي تولى هو أيضًا السلطنة بلاغوس بين ١٨٤٥ ١٨٥١م، ولما تولى أكِنْطوْيَيْ السلطنة أحسّ بعدم رضى كَوْسَوْكَوْ فأعطاه منصب { أوْلوْجَا – أيْكَوْ "Ọlọja Ẹko" أمير تجار مدينة لاغوس}. وكان هناك نزاع بين كَوْسَوْكَوْ وبين أيْلِيْتُو – أوْدِبَوْ " {Eletu Odibo} الذي كان حميمًا لأكِنْطوْيَيْ، وهو الذي فجّأ والدة كَوْسَوْكَوْ بالموت برميها في الماء، ففرّ هو من لاغوس خشية القصاص، فعاد به أكِنْطوْيَيْ في عهده بتَهَوُّره بما بينه وبين كَوْسَوْكَوْ؛ فانتجم من ذلك نزاع أدى إلى طلب كَوْسَوْكَوْ رأس أكِنْطوْيَيْ. فقد أخذ كَوْسَوْكَوْ بثأر أمّه من أيْلِيْتُو - أوْدِبَوْ، فأمر برميه في نهر مَيْكَوْنِي ليسير على نمط موت أمه. وقد نزع كَوْسَوْكَوْ السلطنة من أكِنْطوْيَيْ لثروته، فأمر حواشيه بإحضار له جمجمته، لكنهم خانوه، فقدموا له

۞ موسوعة الدكتور أحمد شلبي المرجع نفسه ص ٥٩٤.

غير جمجمة أكِنْطوْيَيْ. وقد فرّ أكِنْطوْيَيْ إلى بَدَاغِري يستنصر بملكها على عدوّه. فقد بلغ الإنكليزَ الأمرُ، فانتهزوا هذه الفرصة للهجوم على كَوْسَوْكَوْ، ولم يشعر هو بأن أكِنْطوْيَيْ قد اختفى بين حضور هؤلاء، فجعل كَوْسَوْكَوْ بسخرية، يظهر لهؤلاء الجمجمة التي ظنّها جمجمة أكِنْطوْيَيْ. فانسلخ بين الفريقين القتال، ففلفل الإنكليز عيني كَوْسَوْكَوْ وأنصاره في الحرب المعروفة بـ{ بأهَوْيَايَا - Ahoyaya ، الحرب الكثيرة الغليان}، فكلّم كَوْسَوْكَوْ رجليه فرارًا من الموت. فعاد أكِنْطوْيَيْ على العرش ١٨٥١م. ولما سُمّ أكِنْطوْيَيْ وتوفي ١٨٥٣م، عاد كَوْسَوْكَوْ إلى لاغوس بدعوة الملك دَوْسُنْمُو {Dosunmu} الحالي في١٨٦٢م ۞، وقد رافق كَوْسَوْكَوْ إلى منفاه شيخُه وحميمه الشيخ سليمان الهوساوي، وكان المنفى مدينة أيْبَيْ {ẹpe }، والشيخ سليمان كما يقال، هو مَن أسلم كَوْسَوْكَوْ على يديه، ثم عاد معه إلى لاغوس ١٨٦٢م ۞۞.

كان المسلمون في لاغوس لم يطيبوا نفوسًا بالدّور الذي يلعب به المبشرون في محيطهم، خصوصًا ما عليه الملك أكِنْطوْيَيْ من اتخاذه المبشرين أولياء، فصاروا يتدخّلون بذلك في أمورهم. كما أن أمراء لاغوس قد تضرروا من ظلم المستعمرين

۞ تَكِيءُ فولَامي : تاريخ لاغوس نيجيريا {طبعة ١٩٨٢م} ص ص - ٣١ - ٣٤ .
{Fọlami Takiu:" A History of Lagos, Nigeria" {1982}pp 31-34.

۞۞ عليّ أبو بكر: الثقافة العربية في نيجيريا، المرجع نفسه ص ٢٢٥.

الذين قعدوا لهم في كل مرصد. فلما رفض هؤلاء الأمراء حركات البريطانيين، وبدأوا يعارضونهم حينًا لحين، بدأت تكسد تجارتهم. فشعر بذلك كل من البريطانيين والبعثات التبشيرية بانكتاع أصابعهم، فكهربوا على أهالي البلاد. فجعلوا ينتقلون من مدينة إلى قرى لإرجاع مجدهم، فصاروا يفرضون نفوذهم بالسياسة حينًا، وبالحرب في أكثر الأحوال. وقد اكتهرّت بينهم حروب طويلة وبين الشعب الجنوبي، فلم يتمكّنوا من السيطرة على هذه المناطق {جنوب نيجيريا} إلا بعد صراع مرير استطاعت بريطانيا خلاله أن تعقد مجموعة من المعاهدات مع الأمراء المهزومين أو المترددين، وقد بلغت هذه المعاهدات ثلاث مائة واثنتين وسبعين معاهدة بين سنتي ١٨٨٤ و١٨٩٢م. ولما سقط الجنوب تحت أقدام الإفرنج، وحلت شركة إفريقية المتحدة محل القيام بالنشاط التجاري من قِبَل الشركات التجارية البريطانية ١٩٠٠م سميت المنطقة محمية نيجيريا الجنوبية[۞].

هذا غيض من فيض ما جرى بين اليوربا والإفرنج من الصراع في جنوب نيجيريا، إذ قد لاحظوا بأن الإفرنج لم يأتوا إلا ليضغطوا عليهم بالاستعمار، والنفوس تكرم الحرية والاستقلال. كما أنهم انتبهوا بأن المبشرين قد نزلوا إليهم لينزعوا عنهم عقيدتهم الإسلامية، ويستبدلوا لهم الذهب بالرصاص، فأنكروا عليهم هذا الظلم البحت، وحاولوا الخلاص قبل الإغراق.

۞ أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، المرجع السابق ص ٥٩٥.

إن الشعب اليورباوي يؤمن إيمانًا جازمًا بأن المسيحية دين زماني حديث العهد، وأن الوثنية والإسلام دينا الحق قديمان، ذلك لتفضيل الوثنيين منهم الوثنية والإسلامَ على المسيحية، لذلك كانوا يقولون في مأثور شعرهم ما يرفع بدرجة الإسلام والوثنية على المسيحية، فكانوا يقولون: "وُجِدت الوثنيةُ قبل الوجود، ووجد الإسلام كذلك قبله، ولم تدخل المسيحية إلا في منتصف النهار".

- قبائل إيبو والمسيحية

عرفت قبائل إيبو حملة المسيحية كما تقدم أن قلنا في سنة ١٥٢٠م، وقد دخل إليهم المبشرون بعد أن قضوا من أهالي بينِنْ أوطارهم، فاندرست المسيحية في بلاد إيبو حينًا، ثم استيقطت مرة ثانية منذ أن تكبّس الإنكليز على هذه البلاد من سنة ١٥٥٣م، ثم استغلظ سوقها منذ وصول الدفعة التبشيرية الأولى إلى نيجيريا من سيراليون سنة ١٨٤١م.

لم يكن الشعب الإيبووي معجبًا بدين سماوي من فجر حياته إلا بالوثنية كما تقدم، ومع أن المسيحية قد فازت بقسط وافر من الشعب الإيبووي منذ سنة ١٨٩٦م حيث كان عدد المسيحيين من إيبو {٥٨٤} في ذلك العام، وكان عددهم فيها سنة ١٩٠٦م {٢,٤٥٢}، وكان عددهم فيها سنة ١٩١٦م {٢٠,٦٦٨}،

بغض النظر عن أولادهم الذين قد وقعوا في الشبكة التبشيرية عن طريق التعليم في هذه العقود، ومع ذلك نرى أنهم قد تهاونوا بالمسيحية إذا اتبعنا ما قاله سَمْوَيْلْ أجَايي كِرَاوْثرْ فيهم في قوله:

".... كانت الحركة نفسها تدور في كَلاَبَارْ وبَوْنّي، حيث تُلعق الأولاد التربية التبشيرية، وبينما كانت رغبة أهل هذه المنطقة العليا هي التجارة، كانوا يفضلون التعليم على المسيحية ۞.

وقد وصل هذا المبشر سَمْوَيْلْ أجَايي كِرَاوْثرْ أوْنِثْشَا في بلاد إيبو في ديسمبر ١٨٥٨م، وحاول فيها التبشير والتعليم معًا ۞۞. وهو الذي وضع الحروف اللاتينية لكتابة لغة إيبو أيضًا مثل ما وضعها للغة يوربا.

ولقد كانت اللغة الإنكليزية لغة التعلم في بلاد إيبو منذ أمد بعيد، وتوجد أسرة ملك أيْيَوْ خير مثال لذلك. ويشهد على ذلك الوفد الذي قدم كَلاَبَارْ تحت رياسة "هُوب مَارْسْتَارْ طُونْ وَدِّلْ "، ولما وفدوا إلى كَلاَبَارْ وما حولها، قرّروا بأنهم قد وجدوا ملك أيْيَوْ وأولاده كانوا يتقنون اللغة الإنكليزية قراءةً وكتابة حتى كان لهم الباع في الحساب، حيث كان التجار هم الذين أثّروا فيهم، وذلك من تاريخ يرجع إلى سنة ١٧٦٧م ۞۞۞.

۞ عليّ فافنوا: تاريخ التربية في نيجيريا ، ص ٨٣.

۞۞ المرجع السابق ، ص ٨٢.

۞۞۞ المرجع السابق نفسه، ص ٨٠.

- قبائل هوسا والمسيحية

ينمو إلى علمنا أن المنطقة الشمالية هي الجزء الذي كانت تسكنها قبائل هوسا وفلاني، ومعهم في المنطقة قبائل أخرى عدّة كانوا قد تهوّسوا، وكانت من القبائل المتهوسة قبائل ولاية جَوْسْ، وكَادُونَا وما إليهما. وأما قبائل نوفي، فقد شهد لهم العوام بتفوقهم في الإسلام منذ وقت بعيد، ومنهم من نشروا الإسلام مع قبائل هوسا وفلاني إلى بلاد إيبو ويوربا.

سبق أن عرفنا أن الإفرنج كانوا قد بدأوا ينزلون في هذه البلاد منذ سنة ١٥٥٣م، وكان من أوائل الإفرنج الذين نزلوا في المنطقة الشمالية الوفد المسمى بـ"بالمنظمة الجغرافية الملكية" نزلوا على ضفاف نهر النيجر سنة ١٧٩٥م في خدمة الاكتشاف على مصبّ هذا النهر بقيادة المكتشف المشهور الذي مات أخيرًا بجوار النيجر ودفن في مدينة "جَيْبَا" اسمه "مَنْغُوْبَاكْ". حاول في المرة الأولى على الاكتشاف لمصبّ النهر، غير أن محاولته لم يتوّج بالنجاح، ثم اقتفاه ريشَارْدْ لاَنْدَارْ سنة ١٨٠٥م، فوُفّقَ لاستكشاف ذلك المصبّ سنة ١٨٣٠م[۞].

ذكر غَلاَدِمَا نوفي الحاج عثمان تَوْمَافوْغُنْ أن مما تمكن به الإفرنج لنشر دعوتهم في شمال نيجيريا هو أنهم لما دخلوا منطق بدًا في ولاية النيجر لم يحاولوا إعراض التبشير

۞ الثقافة العربية في نيجيريا، ص ١٢٤.

المسيحي على أهل المناطق عن طريق مباشر، فإنما عينوا حوالي اثني عشر من العلماء المسلمين للتدريس في مدارسهم، ومنحوهم أدوات التعليم بأنواعها، وعاملوا الناس بغاية المعروف بانواع المساعدات، فوقع الناس بذلك في حبائلهم، واعتنقوا دينهم على حد حكم الحديث القائل: "أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم" ۞.

النصرانيون رَوَّاغُون في جميع حركاتهم ومساعيهم، ومما ذكر لنا الدكتور عليّ أبو بكر في ثقافته من محاولتهم لإدخال المسيحية في شمال نيجيريا هو أن نصرانِيَيْنِ قد تثعلبا إلى الشمال من مملكة برنو عن طريق طرابلس عام ١٨٢٢م، وكانا في زيّ العرب ليوهما الشعب بأنهما مسلمان، وقد قابلهما الكانمي بحفاوة بالغة، ومن برنو توجّه أحدهما المتسمى بكَلاَبِتِنْ إلى كَنُوْ وسَوْكَوْتَوْ حيث تعارف مع محمد بللو، وكان اسم الثاني دَنْهَامْ، وقد وفد الرحالة بَارْتْ بعدهما أيضًا إلى الشمال للغرض نفسه، وذلك في سنة ١٨٤٨م ۞۞.

وأول الوفد المسيحية الذي جهر بالتبشير في بلاد هوسا هو الوفد المنتظم تحت رعاية مطران تَعْوَالْ الذي كانت له بصيرة في لغة هوسا واللغة العربية، كما كان له إلمام بالدراسة

۞ نقل هذا الحديث السيد الحاج عبد الرزاق. م، كَوْلاَوَوْلِيْ إبَّان مقابلته للحاج عثمان غلاديما نوفي في الشهر مارس سنة ١٩٩٢م ضمن بحثه الذي كتبه عن تطور اللغة العربية في مدينة بدّا للحصول على الماجستير في جامعة بايرو كنو.

۞۞ الثقافة العربية في نيجيريا، ص ١٢٥.

الإسلامية من طرابلس. وقد وفدوا مدينة كَنُوْ سنة ١٩٠٠م فطردهم أميرها، فانتهوا إلى جوار مدينة زاريا واستقروا فيها[۞].

لم يتم الاستيلاء الإنكليزي على المنطقة الشمالية إلا في سنة ١٩٠٢م، وذلك بعد أن ألغت حكومة بريطانيا امتيازات الشركة، فعينت فِرْدْريكِ لُوغَارْدْ حاكمًا على المنطقة الجنوبية، فكتب هذا الحاكم رسالة إلى أمير المؤمنين عبد الرحمن في سَوْكَوْتَوْ، يطلب إليه أن ينشيء مع الإنكليز علاقات ودّية تضمن لرعايا الإنكليز حرية التجارة في الشمال، فجعد الأمير عنقه إباءً، فردَّ إلى الحاكم بقوله: " إنه ليس هناك شيء يجمع بين المسلم والكافر إلا الحرب ". ولم يلبث أن توفي الأمير عبد الرحمن عقب كتابة هذا الردّ، وخلفه محمد الطاهر الأول عام ١٩٠٢م، وسار هو أيضًا على سنة سالفه.

وفي سنة ١٩٠٣م تنمّر الحاكم لُوغَارْدْ لأمراء الشمال، فتألّبوا هم الآخرون لكيده ومكره. فحمل ضدهم السلاح تحت إمارة الجنرال كَامْبُلْ، ووصلت الحملة سَوْكَوْتَوْ يوم ١٥ من مارس تلك السنة، فوجدوا السلطان محمد الطاهر الأول حفيد ابن فودي لم يشدّ إزره للقتال. فقد بلغ الأمر حلقوم السلطان الطاهر، فخرج إلى بُرْمِي مع بعض أعوانه حيث أخذ يجهّز جيشًا للقتال، فاقتفى أثره الإنكليز، فادركوه في غُمْبَيْ، فتعاكر

۞ حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، للدكتور غلادنث، ص ٩١.

الطرفان في القتال، فاستشهد السلطان وعدد كبير من أتباعه، فسقطت سَوْكَوْتَوْ وجميع بلاد هوسا تحت أقدام الإنكليز سنة ١٩٠٣م، فسُميت المنطقة المحمية الشمالية ۞.

- الخلاصة -

لم تصل اللغة العربية ولا الإنكليزية إلى نيجيريا إلا على سفينة الإسلام والتبشير المسيحي، لذلك يصعب على الباحث أن يكتب شيئًا عن دخول اللغتين في نيجيريا وتطورهما فيها بدون الغوص في أعماق البحث بدقة عن مدخل وتطور الدينين فيها، ليس في نيجيريا بالنسبة للعربية فحسب، بل في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وغير الإسلامي. فكم مما كان للغة العربية من تقهقر قبل ظهور الإسلام، فجاء الإسلام ورفع شأن العربية والعرب.

وأما الإنكليزية، فقد كانت آلة انتشارها في أول الوهلة البعثة التبشيرية، فلما أبى المسلمون عن الوقوع في شبكتها، دلّس المستعمرون التأثر بها عن طريق التعليم في المدارس، لينزعوا اللغة العربية من ألسنة الشعوب التي قد كانت لغة الكتابة والقراءة قبل مجيء الإفرنج، بل التي قد صارت حروفها أداة الكتابة لبعض اللغات النيجيرية المحلية. فقد حاولوا ذلك وكُلّلت

۞ الثقافة العربية في نيجيريا، ص ١٢٧ والإسلام في نيجيريا، ص ١٤٦.

محاولاتهم بالنجاح. ومن هنا قام الصراع بين العربية والإنكليزية في هذه البلاد.

وأما المسيحية، فليست لها لغة معيّنة، وتكون لغة التبشير بها على حسب لغة القوم الذين أدخلوها في أي قطر أو مصر من الإنكليزيين، والفرنسيين، واللاتينيين، والألمانيين، والبرتغاليين، والإيطاليين، وغير هؤلاء من الأمم الراقية في أوروبا. لذلك انفصلت الإنكليزية مؤخرًا عن المسيحية، فأصبحت لسانًا مستقلاً يتعلمها المسلم اليوم بدون التفكير في معرفة شيء عن العقيدة المسيحية، فصحَّ اليوم أن لا يلام من يتعلم الإنكليزية بأنه كان يتعلم لغة التوراة والإنجيل أو المسيحية، لأن للمسيحية لغات عديدة، وللتوراة والإنجيل لغتهما الأصلية.

وأما الأشيع والأنشر من اللغة العربية والإنكليزية، فالعاقل يدرك بسهولة أن اللغة العربية هي أكثر لغات العالم شيوعًا، لأنها تصيب حيويتها حيث يوجد المسلم في العالم كله، ويندر أن يوجد بلد في العالم اليوم إلا ويكون فيه مسلم يقرأ شيئًا من القرآن به لأداء صلواته الخمس. وأما إن وجد مسيحي ببلد كما يوجد المسلم، فإن الواضح أنه قد يتكلم باللغة الإنكليزية وقد يتكلم بغيرها في عبادته على ما سبق من لغة القوم الذين أدخلوا المسيحية في البلد من الإنكليز وفرنسا وغيرهما من الإفريج، لذلك كانت اللغة العربية أشيع لغات العالم برمتها.

▪ مكانة اللغة العربية في نيجيريا قبل الاستعمار

إن للغة العربية في نيجيريا مكانة عالية مرموقة قبل الاستعمار، ذلك الوقت الذي انفردت هي بالتمتع والرياسة والسيادة في هذه البلاد، ولم يكن معها منافس يجادلها، أو مصارع ينازعها، بل هي عائشة بسلام، متصرفة في الأفهام، دائرة بين الكُتاب والحكام.

وقد ظلت اللغة العربية أداة الكتابة والقراءة في نيجيريا قرونًا عدة، ودامت هي لسان الخطابة والشكاية في البلاد، وذلك بدخول الإسلام في هذه البلاد، منذ القرن الرابع عشر الميلادي كما تقدم.

وعند التأمل الدقيق لمكانة اللغة العربية في نيجيريا قبل الاستعمار، والتوصوص في النظر إلى الدور الذي قد لعبته اللغة قبل الاستيلاء البريطاني، نجد أن العربية قد ملأت فراغين اثنين قبل مجيء الإنكليز إلى هذه البلاد:

ـ الأول: أما الفراغ الأول الذي ملأته اللغة العربية قبل الإنكليزية في هذه الديار، فهو أن اللغة العربية قد كانت لغة الكتابة والقراءة بين المسلمين في شمال وجنوب نيجيريا منذ أن أخذ أهل نيجيريا الإسلام من الدعاة والتجار، وأخذوا تعاليمه من النحاة والزوار، كأمثال المغيلي الذي نزل بمدينة كَنْوْ وكَتْشِنَا،

وظلَّ بهما مدرسًا، فوظف فيها للتدريس والقضاء، فألّف للناس في الفقه والشريعة كتبًا ورسائل، ومنذ ذلك الوقت أصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في الإدارة والقضاء في مدينة كَنَوْ، وكَتْشِنَا، وبَرْنَوْ، وزَاريَا، وما حولها.

هكذا سارت اللغة العربية من عهد الملك عليّ يَاجِي مضيف الوناغرة في مدينة كَنَوْ، وسارت بمن بعده حتى تمكنت عند الملك رُمْفا مضيف المغيلي، وهكذا صارت تتجول حتى في زمن الشيخ عثمان بن فودي حول بلاد هوسا وإلى بلاد يوربا، تحفر حيث أتت عيونًا، فتجمعت أخيرًا هذه العيون، وتكوّن منها موج، فانهار جميع المسلمين في زمازمه.

هكذا كان موج العربية يسطو، وكان استعمالها يعلو، حتى جاءت الإنكليزية مؤخرًا، تسعى في إسكان موجها، وإغارة مائها.

- وأما الفراغ الثاني الذي سدّته اللغة العربية لأهل نيجيريا قبل الاستيلاء الإنكليزي، فهو كون ألفبائيتها مستخدمة في كتابة بعض لغات قبائل نيجيريا، وهي كتابة اللغة النيجيرية المحلية بالحروف العربية، وكان ذلك مشهورًا لدى هوسا، وفلاني، ونوفي، ويوربا؛ وتُسمى "أجَمِي" تحريف "عَجَمِي" وكانت القبائل المتأثرة بالإسلام كهوسا، وفلاني، ونوفي، ويوربا، قبل مجيء الإفرنج يكتبون العلوم، والتفاسير، والأشعار، والرسائل من لهجاتهم بهذه الحروف. ولعل الذي مهّد لهم هذه الطريقة،

تعلمهم اللغة العربية، أو قُل: تعلُّمهم علوم دينهم من فقه، وحديث، وتفسير القرآن الكريم. ويبدو لي أنهم إذا قرأوا على معلميهم، وفسروا لهم درسًا، وأشكل عليهم فهمُه، كتبوا معناه بلغتهم بالحروف العربية التي كانوا يتعلمونها، ليرجعوا إليه إذا غاب عنهم على نحو ما أشار لنا إليه الشيخ حماد بن إبراهيم الصفار في قوله: ۞

أُخْـدُمِ العلـم خدمـة المـستفيد ... وأدم درسـه بعقـل حميـد
وإذا مـا حفظـت شـيئًا أعـده ... ثـم أكـده غايـة التأكيـد
ثـم علِّقـه كـي تعـود إليـه ... وإلى درسـه علـى التأييـد

وبهذا المنهج مثلاً، أهتدى الطلاب إلى كتابة المعاني الصعبة من دروسهم بلهجاتهم المحلية بالحروف القرآنية، فسموها "أجَمِي" إذ كانت خلاف العربية.

وهكذا بدأ الطلاب يكتبون بها معاني دروسهم وتفسير القرآن الكريم أولاً، ثم درجوا بها إلى الأشعار، ثم إلى الرسائل. وهذا هو الحلّ الوحيد لكتابة اللغات المحلية في نيجيريا قبل الاستعمار، والعقد الفريد لتدوين المخطوطات المحلية قبل دخول البيضان إلى السودان.

ولما جاء البيضان، وأدركوا السودان على هذه الثقافة، حاولوا محوها من الصدور، ومسحها من السطور، فوضعوا لكل من

۞ برهان الإسلام الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم، {القاهرة، بدون تاريخ} ص ٣٤.

هذه اللغات الحروف اللاتينية التي ستكتب بها، فوضع سَمْوَيْلْ أجَايي كِرَاوْثرْ الحروف اللاتينية للغة إيبو ويوربا ۞، فبدلوا من الأيادي والأقلام الحروف العربية، فأخذ الناس يكتبون من الأيسر بدل الأيمن.

ولكن مع كل هذه المجهودات التي بذلوها لإقبار الإسلام واللغة العربية، لم يزدهم ذلك إلا خبالاً، فما زال عدد المسلمين في نيجيريا حتى اليوم يتزايد، وما زالت كتابة اللهجات المحلية بالحروف العربية باقية في أيدي علماء الإسلام حتى اليوم، خصوصًا عند الشيوخ الذين لم يخلطوا ثقافتهم العربية بالغربية، يكتبون بها الرسائل، والدواوين، والأشعار، حتى وقد أسست مؤخرًا جريدة "الفجر" في مدينة كَنُوْ تنشر بها الأخبار والحوادث باللغة الهوساوية، وبالحروف العربية، إحياءً للكتابة الأعجمية.

۞ الحق أن للمبشرين بودج عام ١٨١٩م، وحانّا كلحم ١٨٢٨، وجون ربان ١٨٣٩، وفورس ١٨٤١، وكول ١٨٥٤، قصب السبق في اختراع الحرف اللاتيني لكتابة لغة يوربا، إلا أن هذه الحركة لم تنضج إلا في يد أجايي كراوثر وبخاصة عندما كتب كتابه القواعد اليورباوية الذي نشرة {١٨٤٣م}، مجلة دراسة أفريقية مجلة بحوث نصف سنوية، العدد السابع، أغسطس {١٩٩٠م} ص ١٢٢.

- علاقة اللغة العربية باللغات النيجيرية

إن للغة العربية قصب السبق بالتعلق باللغات النيجيرية قبل الإنكليزية، بل لها أوثق رباط بها، لأنها من أسيد اللغات الإفريقية كلها وأوطدها، وأرقاها، وأكثرها انتشارًا. والعربية لغة سامية، وجدت مكانتها في شمال وغرب إفريقيا بعد أن كانت منتشرة في منبعها، وكانت أختها الأمهَرية، وهي دون العربية انتشارًا، وتلي السامية الحاميةُ والْبَنْتِيَةُ في إفريقيا انتشارًا.

والحامية والبنتية أصلان في اللسان الذي كان يتكلم به غالبية السكان الواقعة جنوب خط الاستواء في إفريقيا، إلا أن الحامية يقع الذين يتكلمون بها غالبًا فوق خط الاستواء، وتشمل الحاميةُ القبطية والبربرية حيث منها قبائل فلاني وهوسا، وكانت البنتية نسبة إلى بنتو، وهي لغة الجم الغفير الواقع جنوب خط الاستواء، وتفقد البتنية غالبًا التمييز فيها بين المذكر والمؤنث، وتعرف هذا التمييز اللغةُ الحامية مثل السامية ۞.

فلغات إفريقية كما قدّرها "بَسْكُومْ وهَسْكُوفْتِشْ" ١٩٥٩م تبلغ حوالي ثمانمائة لغة، بينما يرى فوْدَرْ ١٩٦٩م بأنها تصل إلى الألف أو تزيد. ويبلغ عدد سكان القارة الذين يتحدثون بهذه اللغات حوالي ٤٤٢ مليون، حسب الكتاب الإحصائي لهيئة الأمم

۞ الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٧١.

المتحدة لعام ١٩٧٨م، وبين هذا العدد يدخل المتحدثون باللغة العربية في شمال القارة كلغة الأم حوالي ٢٣,٥% من إجمال السكان. وتبلغ نسبة الذين يتكلمون بها كاللغة الثانية بين ٦-١٠%، ويبلغ عدد المتحدثين والكاتبين بالحرف العربي كلغة الأم والثانية حوالي ٣٣%، أي ثلث سكان القارة. وبهذا تعتبر اللغة العربية أولى اللغات في إفريقيا[۞].

ولهذا الاعتبار، قد تأثرت اللغات القبطية والبربرية اللتان يمكن أن تكون منهما اللغة الهوساوية والفلانية بالعربية أكثر، كما تأثرت البنتية الواقعة جنوب خط الاستواء التي يمكن أن تكون منها اللغة اليورباوية بالعربية، دون ما تأثرت به الهوساوية والفلانية من العربية.

وعلى كل حال، وقد تأثرت كل لغات وقعت ما بين ذقن وقفا، وإلى يافوخ القارة بالعربية عمومًا، وبعدت عن التأثر بها ما وقعت في عنق القارة إلى حلقومها خصوصًا.

فاللغة الهوساوية والفلانية غنيتان بالقواعد النحوية والصرفية وهما تشبهان العربية كثيرًا، ولا سيّما الهوساوية، وهي تشبه العربية في السوابق واللواحق، والضمائر الشخصية، وتكوين الاسم، وفي الأسماء المشتقة، وجمع الأسماء، والجنس، من حيث التذكير والتأنيث، وتقسيم الأفعال إلى ماضٍ، ومضارع،

۞ مجلة دراسات أفريقية: مجلة بحوث نصف سنوية، المرجع السابق ص ص ٧١/٧٢.

وأمر، على نمط ما نجده في لغة الطوارق، لغة المندنكا التي تنتمي إلى أسرة النيجر، والتي تعني شعب أمبراطورية مالي، التي انفصلت أخيرًا ثلاث لهجات: لهجة مَالِينْكَيْ، ولهجة دِيُولاَ، ولهجة بمبارا، ولهذه اللهجات يد طولى في حمل حبّات المفردات العربية إلى زوايا بقية لغات غرب إفريقيا. وذلك منذ القرن الثالث عشر، إذ على يد هؤلاء انتشر الإسلام من مالي إلى البلاد المجاورة لها. وتختص بهذا الفضل لهجة دِيُولاَ التي كانت لرحالة تجار الطوارق ۞.

وأما اللغة الفلانية، فهي ليست كأختها الهوساوية في التشبه باللغة العربية، فقد اكتفت هي بما استعارت من العربية من الألفاظ، ولكن قواعدها تشبه قواعد اللغة الفارسية في استعمال الضمائر. وتتفقان مع العربية في استعمال الصيغ الكثيرة المختلفة لجمع التكسير ۞۞.

وأما اللغة اليورباوية، فهي بدورها تمتّ بصلة القرابة إلى اللغة العربية من حيث استعارة الكلمات، فليس لها حظّ في قواعدها. وتختص هي بقواعدها التي لم تكن شرقية ولا غربية، مما وضع لها المهرة من أعيان يوربا. وظلّت تدرس في المدارس، والجامعات، في نيجيريا وخارجها.

۞ مجلة دراسات أفريقية، المرجع السابق ص ص ٧٤ ٧٦.

۞۞ الثقافة العربية في نيجيريا ص ص ٣٧٦ ٣٧٧.

وأما اللغة الإيبووية، فإن كانت توجد فيها العربية، فيكون مثل وجود السودان بين البيضان في أيام الحج أو أدنى، ذلك لعدم قدمهم في الظهور، ولتأخر تاريخهم في السطور، ولاعتناقهم الإسلام في أدنى العصور.

وأما أوطد العلاقة التي ربطت العربية باللغات النيجيرية، فنلاحظها فيما أرى في ثلاثة أمور:

المجاورة، والهجرة، والإسلام.

١- وأما المجاورة ، فقد لعبت ولا تزال تلعب دورًا سجّالاً في اختلاط اللغتين أو اللغات المتعددة مما كان أصحاب هذه اللغات يسكنون جنبًا إلى جنب، فيبدأ الصراع بين هذه اللغات، فتشرع تستعير كل من هذه اللغات مفردات اللغات الأخرى مما تكون من مفردات المنافع، والعادات، والمصالح المشتركة بينهم.

وفي نيجيريا أقرب مثال في تأثير لغة بأخرى، مما ينجم من مجاورة بعض قبائل بأخرى. نأخذ على سبيل المثال، من يسكن في مدينة " لوْكَوْجَا " في ولاية النيجر، لا نزال نراه غنيًا بإتقان لغات كثيرة من لغات ولهجات شعوب نيجيريا، لأن المدينة تقع قريبًا من قلب نيجيريا، وكانت ملتقى أقدام القبائل النيجيرية. ومما نؤكد به هذا القول، هو أنه كان لي صديق من هذه المنطقة اسمه إدريس عثمان جبريل، جمعتنا الزمالة العلمية في جامعة بَايَرَوْ بمدينة كَنْوْ، وكان يتقن سبع لغات محلية، وهذه

اللغات التي كان يتقنها هي: {هوسا، ويوربا، وإيبَوْ، وإدَوْمَا، وإغْبرَا، ونوْفيْ، وإغالاَ} وكانت الأخيرة هي لغته الأم، بالإضافة إلى العربية والإنكليزية اللتين كللهما بهذه اللغات السبع، ولم يؤثر في هذا الأخ إلا البيئة والمجاورة.

وعلى هذا المثال، كان للغة العربية أثر في اللغات النيجيرية، وإن لم تكن نيجيريا حقًّا جارة مباشرة متلاصقة بالدول العربية، ولكن قد جاورت مالي، والسودان اللتين لهما حظّ وافر في اللغة العربية، وزادت اللغات النيجيرية تأثرًا بالعربية أن كانت قبائل شمالها خليطة من القبطية والبربرية والعرب، وزادتها أيضًا تأثرًا بها أن نزلت بحدودها الشمالية قبيلة شُوَا عرب منذ القرن الرابع عشر، وكانوا يتكلمون باللغة العربية الدارجة، حيث بدأت العربية تصارع بقية اللغات النيجيرية، خصوصًا اللغات الشمالية منها واللغة اليورباوية، فتمَّ في ذلك ما يسمى بالصراع السلمي بين اللغات.

٢- <u>الهجرة</u> : كانت الهجرة من أهم ما يسعى في اختلاط لغة بأخرى، فالشعب النازح له لغته الخاصة، والشعب المنزوح إليه له أيضًا لغته الخاصة، فربما يصعب التفاهم بين الشعبين إذا لم يكونا متجاورين، فيبدأ كل منهما في محاولة إفهام صاحبه ضمائره، فيتبادل كلّ منهما مفردات وعبارات لغة جاره للتفاهم، فينجح كل منهما أخيرًا في فهم لسان صاحبه.

ولعل كان التجار هم أول من سلكوا هذا الطريق على نحو ما قرأناه من فاتحة البحث من أن التجار هم أول من أدخلوا الإسلام في نيجيريا، فلم يكن في نيجيريا فحسب، بل يمكن أن يقال بأنهم هم أول من أدخلوا الإسلام في أكثر البلدان في العالم أجمع، مما لم تصلها الفتوحات الإسلامية في العصور الغابرة، وكان هؤلاء إذا نزلوا قرية، حاولوا التفاهم بينهم وبين أهلها إلى حدّ ممكن، وكان مما يتبادر به كل من الفريقين التقاطها من زميله، هي المفردات التجارية مثل: " كَم ، رضيتُ ، لم أرضَ ، أضِف قليلاً ، رخِّص ، لا ، حرام". ثم تدخل في ذلك المفردات الدينية عندما يبدأ الشعب المنزوح إليه يتعلم علوم الدين لتعنقه الإسلام.

ومما يدل على تأثير الهجرة أو النزح في إفادة شعب بلغة شعب آخر حيث يسعى كل منهما في إفهام أخيه، ما قاله "روبنز" في قوله: (في أيّ وقت يحدث فيه اتصال ثقافي حضاري، من أيّ نوع بين متحدثي لغات مختلفة في أيّ مكان، فالمتحدثون يستعملون كلمات من لغات أخرى، حيث تكون هذه الكلمات أو المصطلحات غير متوافرة أو غير مريحة في لغاتهم الخاصة)۞.

لذلك نرى التجار أكثر من يفهمون اللغات واللهجات من غيرهم، حيث يتبادرون بسرعة في التقاط المفردات المحتاج إليها في

۞ مجلة دراسة أفريقية، ص ٧٢ بحث للدكتور أحمد إبراهيم دياب.

دفع عجلة تجارتهم إلى الأمام. وكما كان الفضل للتجار في انتشار اللغة، كان لغيرهم فيها فضل أيضًا، وأمثال هؤلاء المبشرون والعلماء في الدين الإسلامي.

٣- الإسلام : للإسلام دور كبير في نشر اللغة العربية، ولها في تعلق اللغات النيجيرية بالعربية يد غير قصيرة، فما إن دخل الإسلام في قوم حتى يلصق بألسنتهم أثره، وذلك مما أثر القبائل النيجيرية التي قد اعتنقت الإسلام من قديم اللغة العربية، كقبائل هوسا، وفلاني، ونوفي، وكانوري، ويوربا. وإن كان قد أثر فيهم العاملان السابقان بالعربية أيضًا.

وأما لغة إيبَوْ، فالعلّة التي أعدمت وجود اللغة العربية في لغتهم هي عدم اعتناقهم الإسلام من فجر حياتهم، فلا يدخل فيما سنقوله ريب بأنه منذ أن بدأ المسلمون ينزلون في بلاد إيبو، وكانوا يختلطون معهم في الشوارع والأسواق، سوف نرى لغة إيبو تتأثر باللغة العربية الإسلامية، خصوصًا بعد أن بدأ يدخل بعضهم في الإسلام. وكذلك لا يبعد عن القياس لو قلنا، إن لغة إيبَوْ سوف تتأثر بنصيب وافر من العربية قريبًا، ذلك إذا بلغ وقت قبولهم الإسلام قرنًا واحدًا، سوف نجد في لغاتهم ما لا يقلّ عن ١٥% من اللغة العربية، وذلك للخطوة التي كانوا يختطونها في هذه الأيام من تعلّم اللغة العربية. وقد كان فيهم عدد كبير تتلمذوا في المدارس العربية الإسلامية في أفِكْبَوْ،

وإبادن، ولاغوس؛ ثم واصلوا دراساتهم في الدول العربية، وعادوا إلى ديارهم يبلّغون رسالة الله بلسانهم إلى قومهم، وسنرى عروق كل ذلك وأثره فيهم عن قريب في موضعه.

هذا، فلا يتخلى كل من يتأثر بالعربية عن هذه العوامل الثلاثة التي تحدثنا حولها في هذا الموضوع، فتعمل في ذلك أولاً المجاورة. إما بالعرب نفسها، وإما بمن قد تأثروا بالعرب قبلهم. كما قد بدأ إيبَوْ الآن يتأثرون بإخوانهم في نيجيريا الذين قد تأثروا بالعرب قديمًا. والثاني بالهجرة والنزح، وأقدم العامل للهجرة غالبًا التجارة، ثم تأتي في الدرجة الثانية استجابة للقدر. ثم يأتي في الدرجة الثالثة التأثر باللغة العربية عن طريق الإسلام بواسطة المهاجرين، إذ لا يدخل هذا الدين الحنيف قرية بدون واسطة، كما أنه لم يأت إلى النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا إلا بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام.

- كتابة اللغة الفلانية والهوساوية واليوروباوية بالحروف العربية

إن أقدم الحروف لكتابة لغة فلاني، وهوسا، ويوربا هي الحروف العربية، لأنها هي الحروف التي عرفتها هذه القبائل قبل الاستعمار. فلا يبعد أن نقول بأن هذه القبائل كانوا يكتبون لغتهم بالحروف العربية منذ أن دخل فيهم الإسلام، وكانوا يتعلمون علومه، وشروطه، وآدابه؛ إلا أن هذه المحاولة لم تبلغ

قمّتها إلا بعد ظهور المجدد الأكبر للإسلام في غرب إفريقيا الشيخ عثمان الفودي.

واللغة الفلانية من أقدم اللغات النيجيرية التي كانت لها علاقة باللغة العربية وتكتب بالحروف العربية، وكان ذلك في الكتب مسطورة قبل البعثة العثمانية الفودوية، ويتحتّم أن يكون هناك قبل هذه البعثة علماء كانوا يكتبون اللغة الفلانية بالحرف العربي.

ولقد شهد على علاقة وتوافق اللغة الفلانية باللغة العربية شاهد من أهل الفودي، وهو العلامة السوداني الشيخ عبد الله بن فودي في بعض رسائله في قوله: "...على أن لغتنا هذه، اللغة الفلانية كثيرة التوافق باللغة العربية، ولولا حبّي للاختصار، لجلبت من توافق لغتنا باللغة العربية، بلا فخر، بل على التنوير" ۞.

وعلى وجه تنوير من حديث ابن فودي، نرى أن للغة الفلانية علاقة من ماض سحيق باللغة العربية من حيث التكلم والتحدث.

وعلى وجه القياس، نرى أنه قد تكون بينهما علاقة في الكتابة والتدوين؛ إذ لم تكن هناك لغة عريقة أخرى تباري العربية من قدم اتصال الفلانية بها عن طريق الإسلام أو عن غير الإسلام.

وبما أن اللغة الفلانية لغة مغلوبة بالهوساوية في نيجيريا، ومع ذلك قد رفعت هي اللغة الهوساوية إلى أعلى درجة من حيث كتابتها في السطور، لأن أوائل من نشروا هذه الكتابة بالهوساوية كانوا فلانيين.

۞ المرجع السابق، ص ٧٩ نقلاً من رسائل ابن فودي.

وأما عن كتابة اللغة الفلانية بالعربية، فيثبت لنا التاريخ مما قامت به أسرة الفودي من كتابة الأشعار بهذه اللغة بالألفبائية العربية. ومن أقدم الذين فتحوا هذه الطريقة الشيخ عثمان الفودي نفسه، وأخوه عبد الله، وأولاده محمد بللو، وعيسى، كُورَيْ، والسيدة أسماء المعتبرة بخنساء نيجيريا، وحَيَاتُو بن سعيد. وكما كانت لهؤلاء حركة في كتابة لغتهم بالعربية، كانت لهم يد في كتابة اللغة الهوساوية بهذه الحروف.

ومما يدل على توافق اللغة الفلانية بالعربية، أن في أشعارهم توافقًا، وخذ على سبيل المثال ما أورده الدكتور عليّ أبو بكر في ثقافته من الشعر الفلاني الموزون بالوزن العربي من البحر الكامل والقافية النونية من الكلمات العربية هذه:

مَـــدِيتَّ مُجُّـــدُو وتغطـــيم حنـــان ستارنون شـــحر يطـــويم منَّـــان
الحمـــد لله ميتريـــيم نـــون نومـــو حانـــد لمـــل تغيفـــود وأخـــوان
مـــديتَّمو بنـــوذات بـــتر ذات مـــم فنـــوج العـــرش يـــدوم دو ملـــوان
مـــديتَّ أَنْـــدُطُوغَشّ أَمْ مجـــي ســـرى غييـــوج فـــوغم إِنْـــدمُمْ رحمـــان
ســـبحان جَنِتريطـــوذات ولا بـــك مـــولا بـــوفطم تـــوو لابـــو مكـــان ۞

۞ المعنى:
{١} أحمده وهو الحنان الذي خلقني بمحض فضله، وهو الستار الذي سترني والمنان.
{٢} الحمد لله، أحمده كما يستحق أن تحمده الخلائق والأخوان.
{٣} أثني عليه كما أثنى الذات على نفسه، وهو الذي استوى على العرض على مرّ الملون.
{٤} أثني على من أحاط بضعفي وأنعم عليّ وستّر عيوبي كلّها وهو الذي سمّى نفسه الرحمن
{٥} سبحان الذي استغنى بذاته ليس له أولية ولا مكان.

وهذا مطلع من القصيدة التي يرجع تاريخها إلى القرن التاسع عشر، وتحتوي على الثناء على الله ومدح رسوله والخلفاء الراشدين حتى إلى أسرة الفودي ۞.

وهذا بعض محاولات كتابة اللغة الفلانية بالعربية، وقد تكتب بها الرسائل، والوثائق، والشرائع، والوصايا، وكل ما يمتّ بالمجتمع الحيوي والديني بصلة، وإن اندرس كثير من ذلك لسبب اندماج الفلاني في زوايا الهوسا، ولظهور الحروف اللاتينية بعد العربية.

وأما كتابة اللغة الهوساوية بالعربية، فهي أكثر الكتابة بها في نيجيريا شيوعًا، ويبقى أثر ذلك كثيرًا عند الشيوخ والأكابر، ولهم في هذه الكتابة المعروفة بـ" بأجَمِي" مؤلفات ودواوين، كانت أكثرها في الشعر على أنماط الشعر العربي قافية ووزنًا.
ألست تنتبه إلى ما ذاع وشاع من هذه الكتابة في العملة النيجيرية حيث ظهرت الحروف العربية فيها بلغة هوسا ۞۞.

واللغة الهوساوية من أقرب اللغات النيجيرية إلى اللغة العربية، بل هي الأقرب إليها من الفلانية من حيث القواعد والتصريف، ولها توافق كبير مع العربية من حيث الحروف. إلا أنها تفقد من

۞ الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٨٢.

۞۞ من الأسف الشديد أن جاء أوْلُوشَيْغُنْ أوْبَاسَنْجَوْ كالرئيس الدولة المرة الثانية في ١٩٩٩م إلى ٢٠٠٧م، فنسخ كالمسيحي الحاسد اللغة الهوساوية المكتوبة بالحرف العربي من العملة، وبدّلها بالحرف اللاتيني، وأضاف إليها اللغتي اليورباوية والإيبوية.

العربية ثمانية أحرف وهي: {ث ح خ ذ ص ض ظ ع}. كما أن لها أربعة أحرف يخالف النطق بها في الهوساوية أصولها في العربية، والحروف هي: {ط غ ف ق}، وبقية الحروف الستة عشر يتفق النطق بها عند الهوسا مع العرب۞.

وفي لغة هوسا دواوين في الشعر، كتبت بالأبجدية العربية، ويرجع فضل ابتكار ذلك إلى أسرة الفودي، وخاصة إلى أولئك المذكورة أسماؤهم عند الكلام عن كتابة اللغة الفلانية. وهم من قاموا بترجمة القصائد التي نظموها بالفلانية إلى الهوساوية حتى انتشر ذلك الفنّ أيضًا في المحيط الهوساوي.

وقد اشتهر عدد كبير من الهوساويين من علمائهم وغير علمائهم من ينظمون الشعر الهوساوي بالحروف العربية من أمس بعيد حتى يومنا هذا، وذلك للاحتفاظ على هذا التراث التقليدي القديم، وتيسير القراءة لمن لم يكن له إلمام بالحروف اللاتينية العصرية.

وأما عن الشعر الهوساوي على هذا النمط، فإليك هذه الأبيات كنموذج يلقي الضوء الكاشف عمّا يرمي إليه الموضوع، وكانت القصيدة التي اقتطفنا منها الأبيات من البحر الكامل، كما هي بائية القافية. قال الناظم:

۞ حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص ٢٢٩، إلا أن صاحبه عدّ الحرف "لا" مع الحروف.

نَـاغَوْدِ بـالرحمن سَـرْكِي وَنْـدَبَـيْ كوتـا يـبي كـوونم بَـيْ وَارَابَـا
يَابَـا مُـسُلمِي شِـي يبيـوا كـافري نَـنْ دُونِيـا بحطـام ذَابِـي بَـا
أرحـيم سَـرْكِنْ جِنْقـي رن لاَحِـرَ سِـي صـالحين أكـى بـي بَاكَوْوَابَـا
شِـيني نَفَرْكَـوْ دُودْ قُرَشِـي أن سـني فَرْكُـودَ قـاربو بكـاغ يـشيبا
شـي يَيِـي محمـد ونـد بـاب كمـا تـس ون الـنَّبي بَـايَنْسَ بَـا ذي ذوبـا ۞

والقصيدة كما بدت، ثناء على الله ورسوله. ولكن أصلها كان مدحًا لأمير كناغم، وقد افتتحها واختتمها بالثناء على الله ورسوله، على منوال الشعر العربي. حيث لا يذهب الشاعر إلى الغرض الرئيسي مباشرة، بل يفتتح أناشيده بذكر الأحباء، والبكاء على الأطلال، وما إلى ذلك. وهذا النمط في الشعر الفلاني والهوساوي يرجع فضله إلى الشيخ عثمان بن فودي الذي استنّ هذا الفنّ في الشعر النيجيري الشمالي ۞۞.

ذلك، وأما أشهر الخطوة التي اختطتها قبائل هوسا لإخلاد مجد كتابة "أجمي" فهي التي قامت بها حكومة ولاية كَنْوْ من إنشاء صحيفة مسماة "الفجر" التي تنشر الأخبار بلغة هوسا وبالحرف

۞ المعنى:
{١} أحمد الله الملك الذي عمنا جميعًا بهباته ولم يخصص {أي في الدنيا}.
{٢} أعطى المسلم كما أعطى الكافر في هذه الدنيا، ولم يفضل واحدًا على الآخر.
{٣} هو الملك الذي يخص الصالحين برحمته يوم القيامة دون غيرهم.
{٤} ومعروف أنه أول {إمام} الرسل وآخرهم، إذ لا نبي بعده.
{٥} هو الذي خلق محمدًا المنقطع النظير، ولم يخلق مثله، لا في الأول ولا في الآخر.

۞۞ الثقافة العربية في نيجيريا، ص ص ٣٨٠ / ٣٨١.

العربي. وقد أنشأت سنة ١٩٨١م، وكانت تصدر مرّتين في الشهر، وكانت الصحيفة تسعى في نشر الثقافة الإسلامية والثقافة العامة للمتكلمين بلغة هوسا في داخل نيجيريا وخارجها ۞.

وأما كتابة اللغة اليورباوية بالحروف العربية، فهي شائعة بين علماء بلاد يوربا قديمًا وحديثًا، وقد كان سبب هذه الكتابة الأول هو تقييد الشروح التي كان الطلاب يكتبونها إبّان قراءاتهم العلوم الدينية وتفسير القرآن الكريم على أساتذتهم. وذلك شائع لدى جماعة مَاكَوْنْدَوْرَوْ {Makondoro} أصحاب العمائم واللّحَى. وكان الغالب الأعمّ مما حملهم على ذلك كراهيتهم لتعلُّم القواعد العربية التي هي الطريق الأقوم لفهم اللغة العربية، وقد رجع بعضهم إلى تعلَّم هذه القواعد في العصر الحديث.

ومما لعب الدور في هذا المجال، هو كتابة بعض أنصاف العلم الذين لا يقتدرون على كتابة الرسائل باللغة العربية إلى أحبائهم. فقد أخذوا الحروف العربية آلة لكتابة الرسائل بلغة يوربا إلى إخوانهم من قبل ومن بعد الاستعمار، ويقولون بأنها كتابة " أَلْجَمِي" ويضربون بها المثل بقولهم: "ألاَ لْجَمِي لَلْجَمِي يَيْ" {Alanjẹmi lanjẹmi ye} بمعنى:{صاحب العجم هو الذي يفهم عجميته}.

۞ مجلة دراسات أفريقية، ص ٨١.

وذلك إذ أطلع غالبًا على هذه الكتابة من يجهل الحرف العربي ولا يدري ما هو فيها، ويفتخرون بها بأنهم شيء، وإن كانوا لا يعرفون الحروف اللاتينية.

ومما يأتي بعد هذه المرحلة، حركة التأليف التي تدعو إلى كتابة بعض أسماء أشخاص وأسماء بعض البلدان والأحياء ضمن الكتابة، ومن أبرز الذين قاموا بهذه الوظيفة الشيخ آدم عبد الله الأولوري، و"البرفيسور إسحق أوْغْنْ بيي" في ترجمته لبعض القصص والأناشيد اليورباوية، من بعض ما جرى بين الغيلم وبين كاهن، حيث ذهب الغيلم ۞ إلى كاهن يشكو إليه ليعمل لزوجته دواءً يزيل منها عقمها، فأعطى الكاهن الغيلم الدواء، وأوصاه بأن لا يتناول منه شيئًا، فتهوّر الغيلم هذه الوصية، فأكل منه، فانتفخ بطنه، فندم، وبدأ ينشد استشفاعًا ليقابل له الكاهن السمّ بالترياق وقال:

بَابَالاَوَوْ مَوْ وَا بَيْبَيْ، أَلُوبٰرنْ = أنا بين يديك لأتشفّع أيها الكاهن

أوْنِمْ مَامَا مَوْوَوْ كَيْنُو، أَلُوبٰرنْ = أوصى بألا أتناول منه شيئًا بيدي

أوْنِمْ مَامَا مَيْسَي كَيْنُو، أَلُوبٰرنْ = أوصى بألا أتناول منه شيئًا برجلي

مَوْ فُوْوَوْ كَنْبَيْ مَوْمُو كَيْنُو، أَلُوبٰرنْ = فالتفتُّ إليه فتناولت منه

مَوْ بَوْجُو وَوْكُنْ أوْري بَنْدُو، أَلُوبٰرنْ = فنظرت إلى بطني فإذا هو منتفخ

بَابَالاَوَوْ مَوْ وَا بَيْبَيْ، أَلُوبٰرنْ = أنا بين يديك لأتشفّع أيها الكاهن

۞ السلحفاة أو الغيلم مذكر عند الشعب اليورباوي، وزوجته تسمى يَانِبَوْ، ويسمى هو إجَابَا.

هذا من بعض ما تَرْجَمَهُ البروفيسور أوْغُنْبيي في كتابه القصص الشعبية عن الغيلم عند اليورباويين، والقصص مشهورة لدى الشعب اليورباوي. ولما أن لم أقف على الكتاب أثناء هذا البحث، كتبت بنفسي القطعة.

والشعر اليورباوي لا يلزم قافية ولا وزنًا، وهو خلاف ما نجده عند العرب أو عند الهوسا في تقليدهم العرب. ولكن الشاعر البليغ الذي يكاد يكون شعره على شبه وجود القافية فيه عند اليوربا، هو أبو عبد الغني المرحوم الحاج هارون إشَوْلاَ {Ishọla} وإن كان شعره في حساب الأغنية، كأغنية أم كلثوم المصرية، ومَامَا {محمد} شَتَا في بلاد هوسا. ويليه شعر الفصيح اليورباوي الحاج مسعود أوْلاَنْرَيْوَاجُو أدَيْبَوْجُو {Ọlanrewaju Adepọju} الذي كان شعره في الدرجة الأولى بين شعراء أيْوي {Ewi} في بلاد يوربا.

ومما يلي هذه المرحلة، كتابة بعض العلماء التقليديين الأسامي في طلاسمهم، وأدعيتهم، وأدويتهم؛ وأسامي بعض الأمراض، والعقاقير بالحروف العربية. إذ لم يكن لهم بها بديل، خصوصًا عندما كان مما يتعلق بما ينسب إلى الله، لتُتقبّل أدعيتهم، وتكون الكتابة في تدوين بعض أدوات وعقاقير الأدوية، بغية إخفائها عن جاهلي الحرف العربي، وهذا شائع كثير في بلاد يوربا حتى اليوم.

وأما الحروف التي ينطق بها يوربا، مقابلاً بالحروف العربية، فنجد أن اللغة اليورباوية تفقد اثني عشر حرفًا من الحروف العربية، فيختار يوربا الحروف المتقاربة إلى الحروف المفقودة من العربية مخرجًا وصفة عند الحاجة إلى كتابة لغة يوربا بالحرف العربى. والحروف التي تفقدها لغة يوربا من العربية هي: {ث ح خ ذ ز ص ض ط ظ ع غ ق }، كما أن العربية تفقد من اليورباوية ثلاثة حروف صامتة وهي {P-GB-G} وتعوَّض بـ{غ- غب – ب}. كما تفقد منها العربية أربعة صوائت أخرى، وهي: {E/ /O/Ọ} ۞ وهي حروف التفخيم، واللين، والإمالة بنوعيها. والأول من اليمين ينطق به مفخّمًا، كما في اللام في لفظ الجلالة {الله}. والثاني حرف اللين، كما في الواو من {خَوْفٍ} والثالث حرف الإمالة الصغرى، كما في الياء من {والضُّحَى}. والرابع حرف الإمالة الكبرى، كما في الهاء {طه} ۞۞ كما في رواية ورش في المثالين الأخيرين لدى علماء علم القراءات.

وأما كتابة لغة إيبَوْ بالحرف العربي، وهذه محاولة لم تعرفها السطور، فلعل ما يكون من أوائل هذه المحاولة كتابة أبناء إيبو- الذين ذهبوا إلى بلاد العرب لمواصلة دروسهم أسماءهم

۞ مجلة دراسة أفريقية، ص ١٢٢ بحث قدمه الدكتور أحمد شيخ عبد السلام في كتابة لغة اليوربا بالرمز العربي، المرجع الملازم به.

۞۞ ولمزيد من البيان انظر بحثًا قدمه المؤلف لهذا الكتاب، تحت عنوان: "بحث تجويدي حول لفظ الجلالة" قدمه للصحيفة أخبار العالم الإسلامي مكة المكرمة. العدد ١١٧٦ في ١٩٩٠/٦/٣٠م، ص ١٢ و١٤.

ضمن المؤهلات الدراسية، والأوراق اللازمة للمكث للتعلّم في البلاد العربية، أو مثل بعض ما كتبنا هنا ضمن هذا البحث من أسماء المدن، والأحياء، وأسماء الأشخاص، ممن أسلموا من أبناء إيبو في هذه الآونة، وستزداد كتابة لغة إيبو بالحرف العربي في المستقبل القريب إن شاء الله.